حديث القرآن الكريم عن النسيان

إعداد الدكتور

علي عبد الحميد عيسى عثمان

مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم

بكلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان

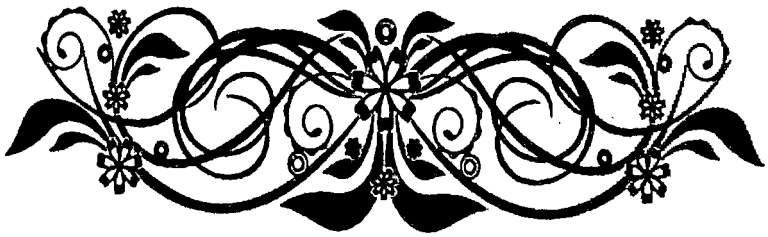

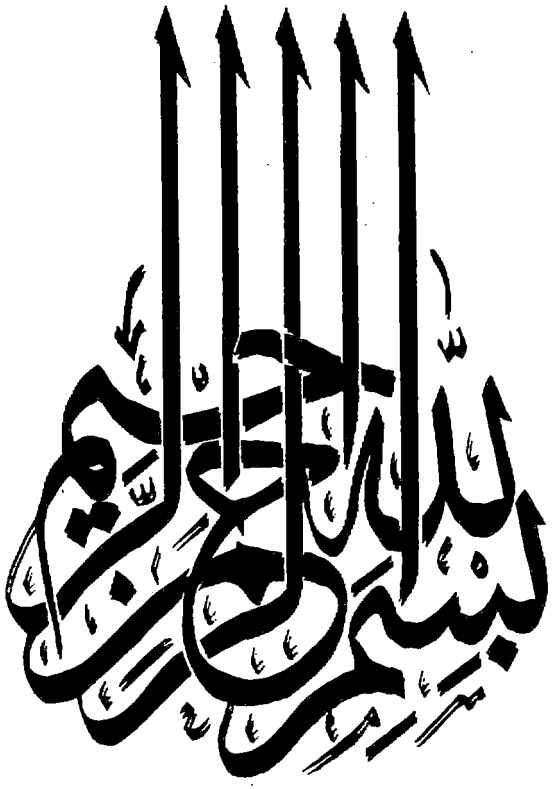
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لله الكريم المنان ، ذي الطول والفضل والإحسان ، الذي هدانا للإيمان ، وفضل ديننا على سائر الأديان ، ومنَّ علينا بإرساله إلينا أكرم خلقه عليه ، وأفضلهم لدينه حبيبه وخليله، وعبده ورسوله محمداً ﷺ فمحا به عبادة الأوثان، وأكرمه بالقرآن،المعجزة المستمرة على تعاقب الأزمان ، التي تحدى بها الإنس والجان ، وأفحم بها جميع أهل الزيغ والطغيان ، وجعله ربيعاً لقلوب أهل البصائر والعرفان ، لا يخلق على كثرة الرد وتغاير الأحيان ، ويسره للذكر حتى استظهره صغار الولدان ، وضمن حفظه من تطرق التغير إليه والحدثان ، وهو محفوظ بحمد الله وفضله ما اختلف الملوان ، ووفق للاعتناء بعلومه من اصطفاه من أهل الحذق والإتقان ، فجمعوا فيها من كل فن ما ينشرح له صدر أهل الإتقان .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه حملة الهدى والنور إلى العالمين ، والتابعين لهم من العدول الموثقين الذين ذبوا عن هذا الدين كيد المفترين ، وتأويل الغالين ، وتحريف المبطلين .

.. وبعد ..

فإن أفضل العلم على الإطلاق العناية بالقرآن الكريم وتفسيره ، وبذل الجهد في تنقيته من كل غريب عن روحه ويتنافر مع تعاليمه ، ويجافي هدايته ، فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة ، والكتاب الذي ختم الله به الكتب وهيمن به عليها ، وهو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض ، حيث أنهى إليه كل تشريع ، وأودعه كل حكمة ، وأرجع إليه كل نهضة ، وناط به كل سعادة .

ومنذ نزل القرآن الكريم على رسولنا ﷺ وهو موضع اهتمام بالغ من المسلمين وغيرهم تدور من حوله علومهم ، وتتضح في خدمته بحوثهم، ومن هنا فقد أتيح للقرآن من الشروح والتفاسير مع الحفظ والتلاوة ما لم يتح لغيره من المعارف الدينية ، لأنه النص الوحيد الموثوق بكل كلمة منه ، فهو كلام الله عز وجل ، تولى حفظه من التغيير والتبديل ، بخلاف الكتب السابقة استحفظها الله البشر من الربانيين والأحبار فدخلها التحريف والتبديل بخلاف القرآن ، لأن هذه النصوص الدينية السابقة جيء بها على التوقيت لا التأبيد ، ونزلت إلى أقوام بعينهم دون غيرهم ، حيث كان يبعث كل نبي إلى قومه خاصة .

أما القرآن فقد نزل إلى العالمين جميعاً ، فجاء مصدقاً لما بين يديه من الكتب السابقة ومهيمناً عليها ، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة زائداً عليها بما شاء الله زيادته .

ولهذا فقد حفظه الله بعين لا تنام ، وحاطه بركن لا يضام ، فلا تنتهي على الأيام دعائمه ، ولا تتبدد على طول الأيام والأزمان معالمه ، ولا يجور عن قصد المحجة تابعه ، ولا يضل عن سبيل الهدى مصاحبه ،

فليس غريباً أن كان القرآن موضع اهتمام وعناية ، وهذه العناية وذلك الاهتمام انصرفا إلى ميادين كثيرة ، من توثيق نصه وتواتره ، وسلامة نظمه وتركيبه ، وغير ذلك من الأبحاث الكثيرة التي ترجع إلى لفظه وأدائه تارة ، أو إلى أسلوبه وإعجازه أخرى ، أو أحكامه وفقهه ، أو تفسيره وشرحه ،

ومن هذه الموضوعات التي لها أثر كبير في تاريخ البشر ظاهرة النسيان ، وقد يتصور بادىء الأمر أن هذا الموضوع لم يتعرض له المنهج الرباني بالبيان ، فماذا يهم الإسلام إن نسي الإنسان ؟

ولكن الحقيقة أن القرآن الكريم – كما سنرى – تحدث عن هذه الظاهرة كثيراً ، وبشمول واستيعاب لجميع أوضاعها الإنسانية والدينية ، لذا كان من المفيد أن يفرد بحث للحديث عن هذا الموضوع الهام ، ولقد دعاني إلى ذلك أمور كثيرة أهمها :

– أن هذا الموضوع من الموضوعات التي غفل عنها الكثيرون ومن الموضوعات الجديرة بالبحث .

– أن موضوع النسيان بالأخص لمن الموضوعات الشديدة الأهمية لأن بعض الأدعياء لجوا فيه بطغيانهم ، وزعموا نسبته إلى الله عز وجل، ونسبته إلى أنبيائه – صلوات الله وسلامه عليهم– فكان لابد من الوقوف لهم بالمرصاد ، وتفنيد هذه الحجج الواهية والإدعاءات الزائفة عن طريق تتبع الآيات التي تحدثت عن هذا الموضوع وتتبعها بأقوال المحققين من المفسرين .

وقد اشتمل هذا البحث على تمهيد وفصلين :

أما التمهيد فيشتمل على :

- تعريف النسيان لغة واصطلاحاً .
- أنواع النسيان .
- معاني النسيان في القرآن الكريم .
- الألفاظ ذات الصلة .
- علاقة الإنسان بالنسيان من حيث الاشتقاق .

الفصل الأول : نفي النسيان عن ذات الله تعالى

وتحته مباحث :

المبحث الأول : نفي النسيان عن ذات الله تعالى

المبحث الثاني : نسيان الأنبياء .

المبحث الثالث : نسيان أهل الكتاب والكفار ما ذكروا به .

الفصل الثاني : أسباب النسيان في القرآن الكريم .

وقد يشتمل المبحث على مطالب طبقاً لمقتضيات البحث .

ثم ذيلت هذا البحث بخاتمة اشتملت على أهم ما توصلت إليه من نتائج ، ثم مصادر البحث .

أسأل الله عز وجل أن يكون هذا البحث مقبولاً ونافعاً لي ولكل من قرأه ، إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين .

التمهيد :

أولاً : تعريف النسيان لغة واصطلاحاً :

النسيان لغة : النسيان مصدر نسي ، وهو مشترك بين معنيين:

أحدهما : ترك الشيء على ذهول وغفلة وذلك خلاف الذكر له .

والثاني : الترك على تعمد ، وعليه : ﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [1] أي : لا تقصدوا الترك والإهمال [1] .

قال ابن فارس : (نَسِيَ) النون والسين والياء أصلان صحيحان يدل أحدهما : على إغفال الشيء ، والثاني: على ترك شيء ، فالأول: نسيت الشيء إذا لم تذكره نسياناً وممكن أن يكون النسي منه .. [1] .

وسمي خلاف الذكر نسياناً : لأن الناسي للشيء تارك له .

---

[1] سورة البقرة من الآية (٢٣٧) .

[1] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٦٠٤/٢) باب : النون ، مادة :سنا .

[1] مقاييس اللغة (٤٢١/٥) .

والنسيان في الإصطلاح :

هو : ترك الإنسان ضبط ما استودع ، إما لضعف قلبه ، وإما عن غفلة أو عن قصد حتى ينحذف عن القلب – ذكره بعض علماء الأصول– وهو عند الأطباء : " نقصان أو بطلان لقوة الذكاء " [1] .

قال الطاهر بن عاشور : " والنسيان ذهاب الأمر المعلوم من حافظة الإنسان لضعف الذهن أو الغفلة ، ويرادفه السهو ، وقيل : السهو الغفلة اليسيرة بحيث يتنبه بأقل تنبيه ، والنسيان : زواله بالكلية، وبعض أهل اللغة فسر النسيان بمطلق الترك ، وجعله صاحب " الأساس " مجازاً وهو التحقيق وهو كثير في القرآن " [2](٥) .

ثانياً : أنواع النسيان

يستنبط من هذه المعاني اللغوية أن النسيان في اللغة بمعنى الترك ، لكن منشأه يختلف ، فتارة يكون عن ذهول ، وتارة يكون عن عمد ، وعلى هذا فالنسيان ينقسم إلى قسمين :

منه ما هو مذموم : وهو كل نسيان كان عن تعمد ، وهذا لا عذر فيه .

---

[1] التوقيف على مهمات التعاريف – محمد عبدالرؤوف المناوي– ص (٦٨٩) .

[2] التحرير والتنوير (١/٤٧٥) .

ومنه ما لا مؤاخذة عليه ، وهو كل نسيان لم يكن للإنسان سبب فيه .

فمن الأول : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ نَسُوا ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [1].

ومن الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [2].

قال الإمام الطبري:" النسيان على وجهين :

أحدهما: على وجه التضييع من العبد والتفريط .
والآخر : على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استحفظ ووكل به وضعف عقله عن احتماله .

فأما الذي يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط فهو ترك منه لما أمر بفعله فذلك الذي يرغب العبد إلى الله عز وجل في تركه مؤاخذته به وهو النسيان الذي عاقب الله عز وجل به آدم صلوات الله عليه فأخرجه من الجنة فقال في ذلك﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن

---

[1] سورة الحشر من الآية (١٩) .
[2] سورة الكهف من الآية (٦٣) .

قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [1] ، وهو النسيان الذي قال جل ثناؤه ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ [2]

فرغبة العبد إلى الله عز وجل بقوله " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا " فيما كان من نسيان منه لما أمر بفعله على هذا الوجه الذي وصفنا ما لم يكن تركه ما ترك من ذلك تفريطاً منه فيه وتضييعاً ، كفراً بالله عز وجل فإن ذلك إذا كان كفراً بالله فإن الرغبة إلى الله في تركه المؤاخذة به غير جائزة لأن الله عز وجل قد أخبر عباده أنه لا يغفر لهم الشرك به فمسألته فعل ما قد أعلمهم أنه لا يفعله خطأ وإنما يكون مسألته المغفرة فيما كان من مثل نسيانه القرآن بعد حفظه بتشاغله عنه وعن قراءته ومثل نسيانه صلاة أو صياماً باشتغاله عنهما بغيرهما حتى ضيعهما

وأما الذي العبد به غير مؤاخذ لعجز بنيته عن حفظه وقلة احتمال عقله ما وكل بمراعاته فإن ذلك من العبد غير معصية وهو به غير آثم فذلك الذي لا وجه لمسألة العبد ربه أن يغفره له لأنه مسألة منه له أن يغفر له ما ليس له بذنب وذلك مثل الأمر يغلب عليه وهو حريص على تذكره وحفظه كالرجل يحرص على حفظ القرآن يجد منه فيقرؤه ثم ينساه بغير تشاغل منه بغيره عنه ولكن بعجز بنيته عن حفظه وقلة احتمال

---

[1] سورة طه الآية (١١٥) .

[2] سورة الأعراف من الآية (٥١) .

عقله ذكر ما أودع قلبه منه وما أشبه ذلك من النسيان فإن ذلك مما لا يجوز مسألة الرب مغفرته لأنه لا ذنب للعبد فيه فيغفر له باكتسابه "[1] .

ثالثاً : معاني النسيان في القرآن الكريم

لم يخرج معنى النسيان في القرآن عن المعاني السابقة التي ذكرها العلماء في اللغة والاصطلاح

فالنسيان في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الترك مع التعمد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3] .

---

[1] جامع البيان (١٥٥/٣) .

[2] سورة البقرة الآية (١٠٦) .

[3] سورة السجدة الآية (١٤) .

الثاني : خلاف الذكر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾[2]، وقوله : قَالَ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ ﴾[3].

الثالث : بمعنى التخليد في العذاب ، قال تعالى : ﴿ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[4] والمعنى : خلدناكم في العذاب ، وجعله نسياناً لأنه جزاء بالنسيان ، وهو ترك العمل للقاء ذلك اليوم ، وليس هو خلاف الذكر ، لأن ذلك فعل الله ، ولا يجوز أن يفعله بهم ويعذبهم عليه ، على

---

[1] سورة الكهف الآية (٦٣) .

[2] سورة الأعلى الآية (٦) .

[3] سورة الكهف من الآية (٧٣) .

[4] سورة السجدة (١٤) .

أنه يجوز أن يسمي سبب النسيان الكائن منهم نسياناً ، ويذكر أنه يعذبهم على النسيان ، وهو يريد أن يعذبهم على سببه [1] .

رابعاً : الألفاظ ذات الصلة :

١- الغفلة : يقال غفل عنه يغفل غفولاً ، وأغفله : تركه وسها ، والمغفل : من لا فطنة له ، والغفول من الإبل البلهاء ، وأرض غفل أي لم تمطر ، وغفل الشيء ستره [2] .

٢- الهجر : الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب ، والهجر والمهاجرة في الأصل مقارفة الغير ومتاركته، لكن خص شرعاً بترك الوطن الذي يبين الكفار ، والانتقال إلى دار الإسلام [3] .

والفرق بين الهجر والنسيان : أن النسيان قد يكون عن تعمد ، وقد يكون عن ذهول ، أما الهجر فغالباً ما يكون عن تعمد .

---

[1] انظر / نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر – ابن الجوزي- (٥٧٩/١) باب : النسيان ، الوجوه والنظائر – لأبي هلال العسكري- ص (٤٦٩) .

[2] لسان العرب (٤٩٧/١١) باب الغين ، مادة " غفل " بتصرف .

[3] التوقيف على مهمات التعاريف (٧٣٨/١) باب : الهاء ، مادة : هجر .

٣- الإعراض : مصدر أعرض بمعنى تولى عن الحق وامتنع عنه، ولج في الباطل ودخل فيه ، يقال :" رجل فيه اعتراض" أي : يدخل في الباطل ويمتنع عن الحق [١] .

وهذه الأمور الثلاثة سبب عظيم من أسباب نقص الإيمان ، فمن اعترته الغفلة ، وشغله النسيان ، وحصل منه الإعراض ، نقص إيمانه وضعف بحسب توافر هذه الأمور الثلاثة فيه أو بعضها ، وأوجبت له مرض القلب أو موته

باستيلاء الشهوات والشبهات عليه ، والمسلم مطالب بمجاهدة نفسه وإبعادها عن الوقوع في النسيان ، حتى لا يتضرر في دينه وإيمانه [٢] .

** الفرق بين السهو والنسيان :

١- في السهو يتم التنبه إلى العمل المسهو عنه بأدنى تنبيه، أما في النسيان فيحتاج إلى تحصيل جديد .

٢- السهو يتعلق بجبر الخلل في أداء الفعل ، والنسيان يتعلق بأداء الفعل ، فسلامه ﷺ على ركعتين في حديث ذي اليدين ، وصلاة الظهر خمساً في حديث ابن مسعود ﷺ يعد من قبيل السهو وذلك كله ليعرف كيفية أداء الصلاة في الحالات كلها من فعله ، ولولا نزول تلك الأعراض لما علم ذلك .

---

[١] لسان العرب (١٦٥/٧) باب : العين ، مادة : عرض " بتصرف .

[٢] زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ص (٢٣٩) .

خامساً : علاقة الإنسان بالنسيان من حيث الاشتقاق

- عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :" إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فَنَسيَ " [1] .

وقد اختلف العلماء في اشتقاق الإنسان هل هو من النسيان أو من الأنس .

والأَنْسُ : أَنْسُ الإنسان بالشيء إذا لم يستوحش منه ، والعرب تقول: كيف ابن إِنْسِكَ ؟ إذا سأله عن نفسه ، ويقال : إنسان وإنسانان وأَناسِيُّ [2] .

قال الإمام الرازي :" ذكروا في اشتقاق لفظ الإنسان وجوهاً :

أحدها : يروى عن ابن عباس أنه قال : سمي إنساناً لأنه عهد إليه فنسي ، وقال الشاعر : **سميت إنساناً لأنك ناسي .**

وقال أبو الفتح البستي :

---

[1] تفسير ابن أبي حاتم (٢٤٣٧/٧) ، تفسير ابن كثير (٣٢٠/٥) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢٢٠/١) والأثر : أخرجه الطبري (٤٦٥/٨) برقم (٢٤٣٨٠) ، والحاكم (٣٨٠/٢) وصححه ، ووافقه الذهبي.

[2] مقاييس اللغة (١٤٥/١) .

فيا أكثر الناس إحساناً إلى الناس وأكثر الناس إفضاءً على الناس
نسيت عهدك والنسيان مغتفر فاغفر فأول ناس أول الناس

وثانيها : سمي إنساناً لاستئناسه بمثله .

وثالثها : قالوا : الإنسان إنما سمي إنساناً لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون من قوله : { آنس مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً } (القصص : ٢٩) كما سمي الجن لاجتنانهم "[١] .

قال ابن قتيبة : إنما سمي إنساناً لظهوره وإدراك البصر إياه وإليه ذهب نحاة البصرة وقالوا : هو على وزن فعلان فزيدت الياء في التصغير كما زيدت في تصغير رجل فقالوا : رويجل ، وليلة فقالوا : لويلة[٢] .

وقال الطاهر بن عاشور : ومعنى الإنسان يشير إلى ما في الإنسانية من التقلب والاضطراب إلا من عصمه الله بالتوفيق ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾[٣] ، وقوله : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾[٤] ولأن في اسم

---

[١] تفسير الرازي (٢/٣٠١) .
[٢] انظر / غريب القرآن – لابن قتيبة – ص (٢٦) .
[٣] سورة مريم الآية (٦٦) .
[٤] سورة القيامة (٣) .

الإنسان مناسبة مع النسيان كما في قوله : ﴿ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴾ [1] [2] .

قال الراغب : " الناس : جماعة حيوان ذي فكر وروية ، واختلف في لفظه ، فقيل : هو من قولهم : أناس ، وحذف همزته وتقديره بعد الحذف عال ، وقيل : بل هو من " ناس" – ينوس– أي : اضطرب ، وتسميته بذلك لكونه ذا اضطراب زائد على غيره إما ببدنه وفكره معاً ، فالإنسان بالفكر حركة زائدة على سائر الحيوان .

وقيل : سمي إنساً وإنساناً لأنه خلق خلقة لا قوام له في حياته بجميع أسبابه ، فيحتاج البعض إلى بعض ليتسبب لهم أمورهم ، ولأنه إذا لم يكن له مسكوت إليه من جنسه لم تطب حياته ، وعلى ذلك قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [3] وهذا المعنى رمقه الشاعر حيث قال :

من كان في الدنيا بغير حبيب فحياته فيها حياة غريب

ما كان في حور الجنان لآدم لو لم يكن حواء من مرغوب

---

[1] سورة الزمر من الآية (٨) .

[2] التحرير والتنوير (٣٤٢/٢٣) بتصرف .

[3] سورة الأعراف من الآية (١٨٩) .

قد كان في الفردوس يشكو وحشة فيها فلم يأنس بغير حبيب [1] .

وقد روي أنه سمي إنساناً : لأنه نسي العهد ، وهذا من حيث اللفظ لا يصح ، لكن من حيث المعنى يصح أن يقال : عني أنه أنس بالشجرة ، فنسي العهد والله أعلم [2] .

وسواء اشتق لفظ الإنسان من النسيان أو الأنس أو غيرهما فإنها صفات ملازمة له بأصل الخلقة التي خلق الله عز وجل الناس عليها .

---

[1] نسبه الأصفهاني إلى ابن أبي مليكة ، بينما يؤذن إذ سمع غناءً فأنشده " انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعر والبلغاء – أبوالقاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني – (٤٦/٢) ط دار القلم ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

[2] تفسير الراغب الأصفهاني ومقدمته (٩٣/١) .

الفصل الأول

نفي النسيان عن ذات الله تعالى

وتحته مباحث :

المبحث الأول : نفي النسيان عن ذات الله تعالى

قال تعالى :﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [1]

وقال تعالى :﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [2] .

سبب النزول : عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال :" يا جِبْرِيلُ ما يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا فَنَزَلَتْ { وما نَتَنَزَّلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ له ما بين أَيْدِينَا وما خَلْفَنَا } إلى آخِرِ الْآيَةِ قال : كان هذا الْجَوَابَ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم [3].

وقد أورد المفسرون هذا الحديث وجعلوه سبب نزولها

قال ابن عاشور :" وهو أصح ما روي في سبب نزولها وأليقه بموقعها هنا ، ولا يلتفت إلى غيره من الأقوال في سبب نزولها " [4] .

---

[1] سورة مريم (٦٤) .

[2] سورة طه (٥٢) .

[3] صحيح البخاري (٢٧١٣/٦) برقم (٧٠١٧) .

[4] التحرير والتنوير (٥٦/١١) .

* معنى النسيان المنفي والمثبت لله عز وجل

أولاً : ذكر الآيات التي قد يوهم ظاهرها التعارض :

ورد لفظ النسيان في بعض آيات القرآن الكريم منفياً عن الله تعالى، وورد في آيات أخرى ما يفيد نسبة النسيان إليه تعالى ، فمن الآيات التي ورد فيها لفظ النسيان منفياً عن الله تعالى ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [1]، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [2] .

ومن الآيات التي ورد فيها لفظ النسيان منسوباً إلى الله تعالى : قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [3]، وقوله تعالى : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۥٓ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ

---

[1] سورة طه الآية (٥٢) .

[2] سورة مريم الآية (٦٤) .

[3] سورة الأعراف الآية (٥١) .

ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [1]، وقوله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [2]، وقوله تعالى : وَقِيلَ﴿ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [3]، وقوله تعالى : ﴿ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [4].

ثانياً : بيان الوجه الموهم للتعارض :

بالنظرة السريعة إلى الآيات السابقة قد يتوهم أنها متعارضة ، ويناقض بعضها بعضاً ، إذ إن الآيات الأولى تفيد نفي النسيان عن الله تعالى ، بينما الآيات الأخرى تفيد نسبة النسيان إليه سبحانه . وعليه فكيف يمكننا التوفيق والتأليف بين هذه الآيات وإزالة ما قد يطرأ على الأذهان من اللبس ؟ هذا ما سيتضح عند ذكر أقوال العلماء في دفع هذا التعارض المتوهم .

---

[1] سورة التوبة الآية (٦٧)

[2] سورة طه الآية (١٢٦) .

[3] سورة الجاثية الآية (٣٤) .

[4] سورة السجدة الآية (١٤) .

ثالثاً : مذاهب العلماء في دفع هذا الإيهام :

كان لأهل العلم مسلك في الجمع بين الآيات السابقة وهو أن النسيان المنفي عن الله تعالى غير النسيان المثبت له سبحانه وتعالى .

فأما النسيان المنفي عن الله تعالى فلم يختلفوا في معناه : وهو أنه بمعنى : الذهول عن شيء معلوم

كقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [1][3] ، وقوله ﷺ :(من نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إذا ذَكَرَهَا لَا كَفَّارَةَ لها إلا ذلك) [2][4] ، وهذا المعنى للنسيان منتف عن الله عز وجل يدل على ذلك :

- قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [3][5] فقوله : " يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ " : أي مستقبلهم

يدل على انتفاء الجهل عن الله تعالى ، وقوله :" وَمَا خَلْفَهُمْ" أي : ماضيهم ، يدل على انتفاء النسيان عنه ، وكذلك الآيات التي ورد فيها لفظ النسيان منفياً عن الله تعالى - وقد تقدم ذكرها بما يغني عن إعادتها- .

---

[1] سورة البقرة من الآية (٢٨٦) .

[2] صحيح البخاري (٢١٥/١) برقم (٥٧٢) من حديث أنس .

[3] سورة البقرة من الآية (٢٥٥) .

– كما قد دل العقل على ذلك أيضاً ، وذلك لأن النسيان نقص ، والله تعالى منزه عن النقص موصوف بالكمال ، وعلى هذا فلا يجوز وصف الله تعالى بالنسيان بهذا المعنى على كل حال [1](٦) .

* وأما بالنسبة للنسيان المثبت لله عز وجل فمعناه : **الترك عن علم وعمد**

وهذا المعنى للنسيان مأثور عن عدد كبير من السلف كابن عباس – رضي الله عنهما – والضحاك ومجاهد والسدي وأبي صالح[2](٧) ومقاتل بن سليمان [3](٨)، والإمام أحمد بن حنبل ، وابن قتيبة ، عليهم رحمة الله

كما قال به جمع كثير من أهل العلم : كالطبري ، والسمرقندي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، والرازي[4](٩)

، والقرطبي ، وابن القيم ، والسعدي ، والقاسمي ، والشنقيطي ، وخليل ياسين[1] عليهم رحمة الله تعالى .

---

[1] مجموع فتاوى ورسائل – ابن العثيمين –(١٧٢/١) .

[2] انظر / جامع البيان – للطبري – (٢٣٦/٨) .

[3] نقل ذلك عنه الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص٨٠.

[4] انظر / بحر العلوم (٦٠/٢) ، تفسير السمعاني (١٨٧/١) ، معالم التنزيل (٢٣٤/٨) ، المحرر الوجيز (٤٠٧/٣) ، مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل (ص٢٢٣) .

قال ابن القيم – رحمه الله– في قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [٢] : " أي تترك في العذاب كما تركت العمل بآياتنا " [٣] .

– والقول بأن معنى النسيان المثبت لله تعالى : الترك هو قول أهل اللغة أيضاً

قال الزجاج : في قوله تعالى : ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [٤] :" أي تركوا أمر الله فتركهم الله تعالى من رحمته وتوفيقه " [٥] .

القول الثاني : أن المعنى : **نعاملكم معاملة من نسيكم**

فنجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به ، كما لم تبالوا أنتم بلقاء ربكم ، ولم تلتفتوا إليه ، بل جعلتموه كالشيء المطروح المنسي .

---

[١] تفسير القرطبي (١٥٧/٧) ، تفسير السعدي ص (٢٥٣) ، محاسن التأويل (٥٣٨/٣) ، دفع إيهام الاضطراب ص (٢٩٠) ، أضواء على متشابهات القرآن (١١٤/٢) .

[٢] سورة طه الآية (١٢٦) .

[٣] مفتاح دار السعادة (٤٥/١) .

[٤] سورة التوبة من الآية (٦٧) .

[٥] معاني القرآن (٤٦٠/٢) .

قال ابن كثير – رحمه الله– في قوله تعالى ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ :" أي لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها كذلك اليوم نعاملك معاملة من نسيك (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا)[1] فإن الجزاء من جنس العمل "[2].

وكلا القولين السابقين قال بهما البيضاوي والحديدي[3] .

القول الثالث : أن وصف الله تعالى بالنسيان هو من باب المشاكلة

كقوله : ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[4] ، ليكون جزاؤهم من نسبة عملهم

قال الشوكاني : في تفسير قوله تعالى : ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾:" والنسيان الترك أي تركوا ما أمرهم به فتركهم من رحمته وفضله ، لأن

---

[1] سورة الأعراف من الآية (٥١) .

[2] تفسير ابن كثير (٣/١٦١) .

[3] انظر / أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٣٤١) ، البيان في دفع التعارض المتوهم بين آيات القرآن ص (١٢٠) .

[4] سورة الشورى من الآية (٤٠) .

النسيان الحقيقي لا يصح إطلاقه على الله سبحانه وإنما أطلق عليه هنا من باب المشاكلة المعروفة في علم البيان " [1] .

كما حكى الأقوال الثلاثة السابقة : الحسين بن ريان ، وذهب إليها أبوالسعود والألوسي [2] عليهم رحمة الله .

الترجيح : في الحقيقة ليس بين أقوال العلماء السابقة تعارض ، لأنه يمكن القول بها كلها ، وعلى هذا يكون معنى النسيان المثبت لله تعالى : تركهم في العذاب عن علم وعمد ، مع عدم المبالاة والاعتداد بهم ، كما يفعل الناسي بالمنسي من عدم المبالاة وعدم الاهتمام به ، وأطلق النسيان عليه تعالى من باب المشاكلة المعروفة في علم البيان ، ليكون جزاؤهم من جنس عملهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– : " وأما الرب تعالى فلا يجوز عليه ما يناقض صفات كماله سبحانه وتعالى ، وفي تفسير نسيانه الكفار بمجرد الترك نظر " [3] .

فكأن شيخ الإسلام يرى أن النسيان المثبت لله تعالى ليس بمعنى الترك فقط ، بل هو بمعنى الترك مع عدم المبالاة والاهتمام .

ومن الملاحظ : أنه عند استقراء الآيات الواردة في نسبة النسيان إلى

---

[1] فتح القدير (٥٣٩/٢) .

[2] انظر / الروض الريان في أسئلة القرآن (٤١١/٢) ، إرشاد العقل السليم (٤٩٧/٢) ، روح المعاني (١٨٩/٨) .

[3] مجموع الفتاوى (٤٩٥/٨) .

الله تعالى نجد أنها لم تذكر إلا مع ذكر نسيانهم لله تعالى ، وهذا يدل على أنه من باب المقابلة أيضاً والمشاكلة ، فالجزاء من جنس العمل .

قال الإمام الشنقيطي :" إن من أنواع البيان أن يوجد في الآية اختلاف للعلماء وتوجد فيها قرينة دالة على المعنى المراد ، وهو موجود هنا في هذه المسألة وهو قوله تعالى : { الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هذا } وهذا القول يكون يوم القيامة ، وقد عبر عن النسيان بصيغة المضارع وهي للحال أو الاستقبال ، ولا يكون النسيان المخبر عنه في الحال إلا عن قصد وإرادة ، وكذلك لا يخبر عن نسيان سيكون في المستقبل إلا عن قصد وإرادة ، وهذا في النسيان بمعنى الترك عن قصد ، أما الذي بمعنى السهو فيكون بدون قصد ولا إرادة ، فلا يصح التعبير عنه بصيغة المضارع ولا الإخبار بإيقاعه عليهم في المستقبل ، فصح أن كل نسيان نسب إلى الله فهو بمعنى الترك ، وكأن قوله تعالى : { فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ } مفسراً ومبيناً لمعنى { الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ } ولقوله { إِنَّا نَسِينَاكُمْ } والعلم عند الله تعالى" [1](٢).

---

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/٥٧) .

المبحث الثاني : نسيان الأنبياء

أولاً : عصمة الرسل في التحمل والتبليغ :

اتفقت الأمة على أن الرسل معصومون في تحمل الرسالة [1] فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم إلا شيئاً قد نسخ ، وقد تكفل الله لرسوله ﷺ بأن يقرئه فلا ينسى شيئاً مما أوحاه الله إليه ، إلا شيئاً أراد الله أن ينسيه إياه ، قال تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ ﴾ [2] ، وتكفل له لأن يجمعه في صدره : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ﴾ [3] .

وهم معصومون في التبليغ ، فالرسل لا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم ، ذلك أن الكتمان خيانة ، والرسل يستحيل عليهم ذلك ، ومن العصمة ألا ينسوا شيئاً مما أوحاه الله إليهم ، ومما يدل على عصمته ﷺ

---

[1] مجموع الفتاوى (٢١٩/١٠) .

[2] سورة الأعلى (٦-٧) .

[3] سورة القيامة (١٦-١٨) .

في التبليغ قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾ [1] .

[1] سورة النجم (٣-٤) .

١- نسيان آدم عليه السلام :

قال تعالى في شأن هذه القصة : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [١]

قال السعدي :" أي : ولقد وصينا آدم وأمرناه ، وعهدنا إليه عهداً ليقوم به ، فالتزمه ، وأذعن له وانقاد ، وعزم على القيام به ، ومع ذلك نسي ما أمر به ، وانقضت عزيمته المحكمة ، فجرى عليه ما جرى ، فصار عبرة لذريته ، وصارت طبائعهم مثل طبيعته ، نسي آدم فنسيت ذريته ، وخطىء فخطئوا ، ولم يثبت على العزم المؤكد ، وهم كذلك ، وبادر بالتوبة من خطيئته ، وأقر بها واعترف ، فغفرت له ، ومن يشابه أباه فما ظلم " [٢] .

فشتان بين من ينسى فيعصي ويتوب ، وبين من ينسى ويعصي فلا يتوب .

والنسيان : أطلق هنا على إهمال العمل بالعهد عمداً ، فيكون عصياناً، وهو الذي يقتضيه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ

---

[١] سورة طه الآية (١١٥) .

[٢] تيسير الكريم الرحمن ص (٥١٤) .

هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [1، 2] .

قال الماتريدي :" قال الحسن وعامة أهل التأويل : إن قوله " فَنَسِيَ" أي : ضيع وترك ، ليس نسيان السهو ، لأنه عوتب عليه وعوقب به ، ولا يعاتب المرء على ما هو حقيقة السهو والنسيان ، فدل أنه على التضييع والترك ، وليس على النسيان والسهو ، إلى هذا يذهب هؤلاء ،

لكن يقبح هذا أن يقال في آدم ، أو في نبي من أنبيائه ، أو في رسول من رسله ، صلوات الله عليهم : إنه ضيع .

والنسيان عندنا على قسمين : نسيان يكون عن غفلة منه وشغل ، ما لولا ذلك الشغل منه والغفلة ، لحفظه وذكره ولا ينساه ، وجائز المعاتبة على هذا النسيان ، إذ لو كان تكلف لكان لا ينساه ولا يقع فيه .

ونسيان آخر : يقع فيه من غير سبب كان منه لا يملك دفعه ، وذلك نسيان ما لا يعاتب عليه ولا يعاقب به ، وهكذا الكلفة من الله تعالى

---

[1] سورة الأعراف (٢٠-٢١) .

[2] التحرير والتنوير (٣١٨/١٦) .

والمحنة ، .. فعلى ذلك النسيان الذي ذكر من آدم جائز أنه لو تكلف ، حفظه وذكره ، فإنما عوتب لذلك ، والله أعلم " [1].

قال الإمام الشنقيطي : " واعلم أن جميع العلماء أجمعوا على عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في كل ما يتعلق بالتبليغ . واختلفوا في عصمتهم من الصغائر التي لا تعلق لها بالتبليغ اختلافاً مشهوراً معروفاً في الأصول . ولا شك أنهم صلوات الله عليهم وسلامه إن وقع منهم بعض الشيء فإنهم يتداركونه بصدق الإنابة إلى الله حتى يبلغوا بذلك درجة أعلا من درجة من لم يقع منه ذلك . كما قال هنا : {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } ثم أتبع ذلك بقوله : { ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى } . .. [2] .

قال الشيخ أبوزهرة: " ولقد ذكر سبحانه وتعالى وصفين لآدم أحدهما إيجابي ، والثاني سلبي

أما الأول : فهو النسيان فقد قال (فنسي) (الفاء) للعطف ، و" نسي" منصبة على العهد ، أي فنسي العهد ، ووقع في المحذور الذي حذره منه ، وليس ذلك ما يكون غضاضة على آدم ، لأن الله تعالى يصف الطبع الإنساني ، وأنه يعرض له النسيان وتعرض له الغفلة ، وما يقع في ما ينهى عنه إلا وهو ناس غافل .

---

[1] تأويلات أهل السنة (٣١٥/٧) بتصرف .

[2] أضواء البيان (١٠٣/٤) .

الأمر الثاني : وهو السلبي ، ذكره سبحانه وتعالى بقوله :" ولم نجد له عزماً " أي : عزيمة صادقة تحزم أموره وتقطعها ، وعبر سبحانه وتعالى بهذا القول :" ولم نجد له عزماً " في الأمر الواقع ، والله تعالى يعلم به من قبل أن يقع ، فقد قدر الله تعالى كل ذلك ، وعلم ما وقع قبل وقوعه ، فكيف يقول :" ولم نجد له عزماً " وهو الذي خلقه وصوره وقدره ، ونقول : إنه وجده واقعاً ، وهو يعلم علماً أزلياً لأنه هو الذي خلق وصور .

وإن إبليس وذريته يجيئون إلى ذرية آدم ، من نسيانهم وغفلتهم ، ونقص عزيمتهم ، كما جاء إبليس اللعين إلى أبي الإنسانية من جهة نسيانه ، وأنه لم يكن له عزم مانع ، فليحذر الناس بعد أن جاءتهم الشرائع من وسوسة إبليس وذريته "[1] .

نخلص من هذا : أن الأعراض البشرية كالخوف والغضب والنسيان تقع من الرسل والأنبياء ، وهي لا تنافي عصمتهم: **نسيان آدم**: – عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم * لَمَّا خَلَقَ الله آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَسَقَطَ من ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هو خَالِقُهَا من ذُرِّيَّتِهِ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَجَعَلَ بين عَيْنَيْ كل إِنْسَانٍ منهم وَبِيصًا من نُورٍ ثُمَّ عَرَضَهُمْ على آدَمَ فقال أَيْ رَبِّ من هَؤُلَاءِ قال هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ فَرَأَى رَجُلًا منهم فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ ما بين عَيْنَيْهِ فقال أَيْ رَبِّ من هذا فقال هذا رَجُلٌ من آخِرِ الْأُمَمِ من ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ له دَاوُدُ فقال رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ قال سِتِّينَ سَنَةً قال أَيْ رَبِّ زِدْهُ من عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً فلما قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ

---

[1] زهرة التفاسير (٩/٤٧٩٧) .

جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فقال أو لم يَبْقَ من عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً قال أو لم تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ قال فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَنَسِيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ "[1].

٢- نسيان يوسف عليه السلام :

قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام عندما سجن :" ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[2](1) .

قال الإمام ابن العربي :" اختلف الناس في الضمير من قوله ({ فأنساه}) هل هو عائد على يوسف أم على الفتى ؟

فقيل: هو عائد على يوسف أنساه الشيطان أن يذكر الله وذكر الملك ؛ فعوقب بطول اللبث في السجن . وقيل : هو عائد على الفتى نسي تذكرة الملك فدام طول مكث يوسف في السجن . فإن قيل : إن كان الضمير عائداً على يوسف فكيف يصح أن يضاف نسيانه إلى الشيطان وليس له على الأنبياء سلطان ؟

قلنا: أما النسيان فلا عصمة للأنبياء عنه إلا في وجه واحد هو جهة الخبر عن الإبلاغ ؛ فإنهم معصومون فيه نسياناً وذكراً وإذا وقع

---

[1] أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح (٢٦٧/٥) برقم (٣٠٧٦) .

[2] سورة يوسف الآية (٤٢) .

منهم النسيان حيث يجوز وقوعه فإنه ينسب إلى الشيطان إطلاقاً ولكن ذلك إنما يكون فيما يخبر الله به عنهم أو يخبرون به عن أنفسهم ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم " [1][2] .

وقال ابن كثير :" ولما ظن يوسف عليه السلام أن الساقي ناج قال له يوسف خفية عن الآخر والله أعلم لئلا يشعره أنه المصلوب قال له (اذكرني عند ربك) يقول اذكر قصتي عند ربك وهو الملك فنسي ذلك الموصي أن يذكر مولاه الملك بذلك وكان من جملة مكايد الشيطان لئلا يطلع نبي الله من السجن ، هذا هو الصواب أن الضمير في قوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) عائد على الناجي كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد ، ويقال :إن الضمير عائد على يوسف عليه السلام رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضا وعكرمة وغيرهم" [2][3]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :"(فأنساه الشيطان ذكر ربه)! قيل: أنسى يوسف ذكر ربه لما قال " اذكرني عند ربك " .

وقيل : بل الشيطان أنسى الذي نجا منهما ذكر ربه ، **وهذا هو الصواب** ، فإنه مطابق لقوله " اذكرني عند ربك " قال تعالى " فأنساه الشيطان ذكر ربه " ! والضمير يعود إلى القريب إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك، ولأن يوسف لم ينس ذكر ربه بل كان ذاكراً لربه ،

---

[1] أحكام القرآن (٤٥/٣) .

[2] تفسير ابن كثير (٤٨٠/٢) .

وقد دعاهما قبل الرؤيا إلى الإيمان بربه وقال لهمـــا :"﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [1] وقال لهما قبل ذلك ! " لا يأتيكما طعام ترزقانه " ! أي في الرؤيا ، "إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما " يعني التأويل " ذلكما مما علمني ربـــي " فبهـــذا يذكر ربه عز وجل فإن هذا مما علمه ربه لأنه ترك ملة قوم مشركين لا يؤمنون بالله وإن كانوا مقرين

بالصانع ولا يؤمنون بالآخرة واتبع ملة آبائه أئمة المؤمنين الذين جعلهم الله أئمة يدعون بأمره إبراهيم وإسحاق ويعقوب فذكر ربه ثم دعاهما إلى الإيمان بربه ...

فكيف يكون قد أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه وإنما أنسى الشيطان الناجي ذكر ربه أي الذكر المضاف إلى ربه قالوا : كان الأولى أن يتوكل على الله ولا يقول:" اذكرني عند ربك " فلما نسي أن يتوكل على ربه جوزي بلبثه في السجن بضع سنين .

فيقال: ليس في قوله " اذكرني عند ربك " ما يناقض التوكل بل قد قال يوسف "إن الحكم إلا لله " ، كما أن قول أبيه " لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة " لم يناقض توكله بل قال "وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون " .

---

[1] سورة يوسف الآية (٣٩) .

وأيضاً: فيوسف قد شهد الله له أنه من عباده المخلصين ، والمخلص لا يكون مخلصاً مع توكله على غير الله فإن ذلك شرك ، ويوسف لم يكن مشركاً لا في عبادته ولا توكله بل قد توكل على ربه في فعل نفسه بقوله: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1] فكيف لا يتوكل عليه في أفعال عباده !

وقوله :"اذكرني عند ربك " مثل قوله لربه " اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم " فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضاً للتوكل ، ولا هو من سؤال الإمارة المنهي عنه، فكيف يكون قوله للفتى " اذكرني عند ربك " مناقضاً للتوكل وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به ليعلم حاله ليتبين الحق ويوسف كان من أثبت الناس "[2].

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب " فأنساه الشيطان " ... فيه مسائل:

الأولى : أن الرب كما يطلق على المالك يطلق على المخدوم . .

الثانية : أن مثل هذا مما يعاقب به الأنبياء مع كونه جائزاً لغيرهم .

الثالثة : أن المقرب قد يؤخذ بما لا يؤاخذ به من دونه .

الرابعة : أن الشيطان قد يتوصل إلى الأنبياء بمثل هذا .

---

[1] سورة يوسف من الآية (٣٣) .

[2] مجموع الفتاوى (١١٣/١٥) .

الخامسة : أن ترك هذا القول والاستغناء بالله من التوكل .

السادسة : أن من المقامات ما يحسن من شخص ويلام في تركه ويذم من شخص آخر ، كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد الاقتداء به في الوصال وقال :" إني لست كهيئتكم " [1] .

السابعة : أن هذا من أبين أدلة التوحيد لمن عرف أسباب الشرك بالمقربين .

وتمامها بمعرفة الثامنة :وهي أن الله عاقبه باللبث في السجن هذه المدة الطويلة مع أن لبث الإنسان فيه سنة واحدة من العذاب الأليم ، فكيف بشاب ابن نعمة [2] .

٣- نسيان موسى عليه السلام مع الفتى والرجل الصالح

قال تعالى في قصة موسى عليه السلام مع فتاه : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ

---

[1] جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه (٦٩٣/٢) برقم (١٨٦٣) .

[2] تفسير آيات من القرآن الكريم (١٤٩/١) بتصرف .

سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾[1] .

والعلماء مختلفون في نسبة النسيان لموسى عليه السلام في هذا الموضع :

- ففريق يرى : أن النسيان كان من فتى موسى عليه السلام .

قال الشنقيطي : " والدليل على أن النسيان إنما وقع من فتى موسى دون موسى قوله تعالى عنهما : { فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هذا نَصَباً قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ } ، لأن قول موسى : (آتنا غداءنا) يعني به الحوت فهو يظن أن فتاه لم ينسه ، كما قاله غير واحد . وقد صرح فتاه : بأنه نسيه بقوله : { فإني نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ } .

وقوله في هذه الآية الكريمة : { وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ } دليل على أن النسيان من الشيطان كما دلت عليه آيات أخر . كقوله تعالى : { وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }"الأنعام :٦٨" وقوله تعالى : { اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ }"المجادلة : ١٩" . وفتى موسى هو يوشع بن نون ، وإنما أسند

---

[1] سورة الكهف (٦٢-٦٤) .

النسيان إليهما ، لأن إطلاق المجموع مراداً بعضه أسلوب عربي كثير في القرآن وفي كلام العرب" [1]

- ويرى آخرون : أن النسيان كان من موسى عليه السلام .

قال السيوطي :" وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً " فذكر موسى ما كان عهد إليه إنه يدلك عليه بعض زادك"[2].

ومن المفسرين : من يذكر القولين بلا تعليق ولا ترجيح .

قال الألوسي :" (وما أنسانيه إلا الشيطان): لعله شغله بوساوس في الأهل ومفارقة الوطن فكان ذلك سبباً للنسيان بتقدير العزيز العليم وإلا فتلك الحال مما لا تنسى ، وقال بعضهم : إن يوشع كان قد شاهد من موسى عليه السلام المعجزات القاهرات كثيراً فلم يبق لهذه المعجزة وقع عظيم لا يؤثر معه الوسوسة فنسي) [3].

والصحيح - والله أعلم- أن النسيان كان منهما معاً

---

[1] أضواء البيان (٣/٣٢١) .

[2] الدر المنثور(٥/٤١٦) .

[3] روح المعاني (١٥/٣١٧) .

قال ابن العربي :" نسيه يوشع ونسيه أيضاً موسى ، ونسبة الفتى نسيانه إلى الشيطان لأنه متمكن منه ، ولا ينسب نسيان الأنبياء إلى الشيطان لأنه لا يتمكن منهم وإنما نسيانهم أسوة للخلق وسنة فيهم " [1].

قال القرطبي :"إن النسيان كان منهما لقوله تعالى : (نسيا) فنسب النسيان إليهما وذلك أن بدو حمل الحوت كان من موسى لأنه الذي أمر به فلما مضيا كان فتاه هو الحامل له حتى أويا إلى الصخرة نزلا (فلما جاوزا) يعني الحوت هناك منسياً أي متروكاً فلما سأل موسى الغداء نسب الفتى النسيان إلى نفسه عند المخاطبة ، وإنما ذكر الله نسيانهما عند بلوغ مجمع البحرين وهو الصخرة فقد كان موسى شريكاً في النسيان لأن النسيان التأخير ، من ذلك قولهم في الدعاء : أنسأ الله في أجلك ، فلما مضيا من الصخرة أخرا حوتهما عن حمله فلم يحمله واحد منهما فجاز أن ينسب إليهما لأنهما مضيا وتركا الحوت " [2](1) .

وفيه : أنه لا ينكر إصابة الشيطان للأنبياء بما لا يقدح في النبوة لقوله: " نسيا حوتهما " مع قوله :" وما أنسانيه إلا الشيطان ، وما عليه الإنسان من البشرية ولو كان نبياً [3](2) .

---

[1] أحكام القرآن (٣/٢٤٠) .

[2] تفسير القرطبي (١١/١٣) .

[3] تفسير آيات من القرآن الكريم- محمد بن عبدالوهاب- (١/٢٣٥) .

٤- موسى والخضر عليهما السلام

قال تعالى : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝ ﴾[١][٣] . ولقد تعددت الأحاديث والروايات التي أوردها المفسرون في صدد القصة .

والمستفاد منها بدون خلاف أن موسى هو نبي بني إسرائيل المشهور ، وأن العبد الصالح هو الخضر ، وأن فتى موسى هو يوشع بن نون [٢][٤].

قال الطبري :" يقول عز ذكره : قال العالم لموسى إذ قال له ما قال "ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً" على ما ترى من أفعالي لأنك ترى ما لم تحط به خبراً ، قال له موسى :" لا تؤاخذني بما نسيت"

فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم : كان هذا الكلام من موسى عليه السلام للعالم معارضة لا أنه كان نسي عهده وما كان تقدم فيه حين استصحبه بقوله " فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً"

---

[١] سورة الكهف (٧٢-٧٣) .

[٢] التفسير المنير – الزحيلي – (٨٣/٥) .

ذكر من قال ذلك حدثت عن يحيى بن زياد قال ثني يحيى بن المهلب عن رجل عن سعيد بن جبير عن أبي بن كعب الأنصاري في قوله :" لا تؤاخذني بما نسيت" : قال لم ينس ولكنها من معاريض الكلام.

وقال آخرون : بل معنى ذلك لا تؤاخذني بتركي عهدك ، ووجه : أن معنى النسيان الترك .

ذكر من قال ذلك حدثنا بن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن إسحاق عن الحسن بن عمارة عن الحكم عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال:" لا تؤاخذني بما نسيت" أي : بما تركت من عهدك .

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بما نسي فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه لا بما سأله عنه وهو لعهده ذاكر للصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك معناه من الخبر وذلك ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا يحيى بن آدم قال ثنا بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن بن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤاخذني بما نسيت قال كانت الأولى من

موسى نسياناً ، وقوله :"ولا ترهقني من أمري عسراً" يقول لا تغشني من أمري عسراً يقول لا تضيق علي أمري معك وصحبتي إياك"[1].

قال الماتريدي :" يحتمل هذا الكلام وجوهاً :

---

[1] تفسير الطبري (١٥/٢٨٥) .

أحدهما : على التعريض من الكلام ، أي : لا تؤاخذني بما لو نسيت، كقول إبراهيم حيث قال ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾[1] ، ونحوه ، أي سأسقم .

والثاني : على حقيقة النسيان ، نسي قوله :" فلا تسألني عن شيء " بعدها ، لما رأى من المناكير في الظاهر ، وهكذا كانت عادة الأنبياء أنهم إذا رأوا منكراً لا يملكون أنفسهم حزناً وغضباً على ما رأوا فلا ينكر أن يكون نسي ما قال له .

وقال بعضهم : على التضييع والترك ، فهو يخرج على الأول [2] .

قال البقاعي : ولما تشارطا وتراضيا على الشرط سبب قوله تعالى:" فانطلقا " أي : موسى والخضر عليهما السلام على الساحل ، يطلبان سفينة يركبان فيها واستمرا " حتى إذا ركبا في السفينة " وأجاب الشرط بقوله " خرقها " وعرفها لإرشاد السياق بذكر مجمع البحرين إلى أن انطلاقهما كان لطلب سفينة ، فكانت لذلك كأنها مستحضرة في الذهن ، ولم يقل " خرق " بالفاء لأنه لم يكن مسبباً عن الركوب ولا كان في أول أحيانه ، ثم استأنف قوله تعالى :" قال " أي موسى عليه السلام ، منكراً لذلك لما في ظاهره من الفساد بإتلاف المال المفضي إلى فساد أكبر منه بإهلاك النفوس ، ناسياً لما عقد على نفسه لما دهمه مما عنده من الله – وهو الإله العظيم– ...ففي الأول: نسي الشرط ، وفي الثانية : نسي لما

---

[1] سورة الصافات (٨٨-٨٩) .

[2] تأويلات أهل السنة (١٩٧/٧) .

دهمه من فظاعة القتل – الذي لم يعلم فيه من الله أمراً–أنه ينبغي تقليده لثناء الله تعالى عليه " [1] .

وقال الرازي :" اعلم أن موسى وذلك العالم لما تشارطا على الشرط المذكور وسارا فانتهيا إلى موضع احتاجا فيه إلى ركوب السفينة فركباها وأقدم ذلك العالم على خرق السفينة ، وأقول لعله أقدم على خرق جدار السفينة لتصير السفينة بسبب ذلك الخرق معيبة ظاهرة العيب فلا يتسارع الغرق إلى أهلها فعند ذلك قال موسى له : { أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا } وفيه بحثان :

البحث الأول : قرأ حمزة والكسائي : { ليغرق أَهْلَهَا } بفتح الياء على إسناد الغرق إلى الأهل ، والباقون لتغرق أهلها على الخطاب ، والتقدير لتغرق أنت أهل هذه السفينة [2] .

البحث الثاني : أن موسى عليه السلام لما شاهد ذلك الأمر المنكر بحسب الظاهر نسي الشرط المتقدم فلهذا المعنى قال ما قال ، واحتج الطاعنون في عصمة الأنبياء عليهم السلام بهذه الآية من وجهين . الأول : أنه ثبت بالدليل أن ذلك العالم كان من الأنبياء ، ثم قال موسى عليه السلام : { أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا } فإن صدق موسى في هذا القول

دل ذلك على صدور الذنب العظيم عن ذلك النبي ، وإن كذب دل على صدور الكذب عن موسى عليه السلام . الثاني : أنه التزم أن لا يعترض

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١٠/١٢) .

[2] السبعة في القراءات – ابن مجاهد – (٣٩٥/١) .

على ذلك العالم . وجرت العهود المؤكدة لذلك ، ثم إنه خالف تلك العهود وذلك ذنب . والجواب عن الأول : أنه لما شاهد موسى عليه السلام منه الأمر الخارج عن العادة قال هذا الكلام ، لا لأجل أنه اعتقد فيه أنه فعل قبيحاً ، بل لأنه أحب أن يقف على وجهه وسببه ، وقد يقال في الشيء العجيب الذي لا يعرف سببه إنه أمر يقال أمر الأمر إذا عظم وقال الشاعر: داهية دهياء .

وعلى الثاني : أنه فعل بناء على النسيان ، ثم إنه تعالى حكى عن ذلك العالم أنه لما خالف الشرط لم يزد على أن قال : { أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً } فعند هذا اعتذر موسى عليه السلام بقوله : { لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ } أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي بشيء : { وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً } يقال : رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تغشني من أمري عسراً ، وهو اتباعه إياه يعني ولا تعسر على متابعتك ويسرها علي بالإغضاء وترك المناقشة ، وقرىء : {عُسُراً} بضمتين "[1] .

قال ابن عطية :" قال القاضي أبو محمد : والأمر أخص من المنكر ، فقال الخضر مجاوباً لموسى : " ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً " فتنبه موسى لما أتى معه فاعتذر بالنسيان وذلك أنه نسي العهد الذي كان بينهما ، هذا قول الجمهور وفي كتاب التفسير من صحيح البخاري أن

[1] مفاتيح الغيب (٢١/٤٨٦) .

النبي صلى الله عليه وسلم قال :" كانت الأولى من موسى نسياناً" [1] وفية عن مجاهد أنه قال : كانت الأولى نسياناً والثانية شرطاً والثالثة عمداً ، وهذا كلام معترض: لأن الجميع شرط ولأن العمد يبعد على موسى عليه السلام وإنما هو التأويل إذ جنب صيغة السؤال أو النسيان. وروى الطبري عن أبي بن كعب أنه قال إن موسى عليه السلام لم ينس ولكن قوله هذا من معاريض الكلام . ومعنى هذا القول صحيح والطبري لم يبينه ووجهه عندي أن موسى عليه السلام إنما رأى العهد في أن يسأل ولم ير إنكار هذا الفعل الشنيع سؤالاً بل رآه واجباً فلما رأى الخضر قد أخذ العهد على أعم وجوهه فضمنه السؤال والمعارضة والإنكار وكل اعتراض إذ السؤال أخف من هذه كلها أخذ معه في باب المعاريض التي هي مندوحة عن الكذب ، " فقال له " لا تؤاخذني بما نسيت " ولم يقل له إني نسيت العهد بل قال لفظاً يعطي للمتأول أنه نسي العهد ويستقيم أيضاً تأويله وطلبه مع أنه لم ينس العهد لأن قوله " لا تؤاخذني بما نسيت " كلام جيد طلبه وليس فيه للعهد ذكر هل نسيه أم لا وفيه تعريض أنه نسي العهد فجمع في هذا اللفظ بين العذر والصدق وما يخل بهذا القول إلا أن الذي قاله وهو أبي بن كعب روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كانت الأولى من موسى نسيانا و" ترهقني " معناه : تكلفني وتضيف عليَّ ، ومما قص من أمرهما أنهما لما ركبا السفينة وجرت نزل عصفور على جنب السفينة فنقر في الماء نقرة فقال الخضر لموسى ماذا ترى هذا العصفور نقص من ماء البحر فقال موسى قليلاً فقال يا موسى

---

[1] صحيح البخاري (١٧٥٣/٤) برقم (٤٤٤٨) كتاب : التفسير ، باب : " وَإِذْ قال مُوسَى لِفَتَاهُ".

ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا ما نقص هذا العصفور من ماء البحر "[1].

٥- نسيان محمد ﷺ

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

جاء في القرآن والحديث ما يسيغ القول بجواز النسيان على رسول الله ﷺ من ذلك آيات سورة الكهف هذه .

وقد روي أن الآيات نزلت لأن النبي ﷺ وعد بالإجابة على أمر دون أن يقول إن شاء الله .

قال الشنقيطي :" في هذه الآية الكريمة قولان معروفان لعلماء التفسير :

الأول: أن هذه الآية الكريمة متعلقة بما قبلها ، والمعنى : أنك إن قلت سأفعل غداً كذا ونسيت أن تقول إن شاء الله ، ثم تذكرت بعد ذلك فقل إن شاء الله ، أي اذكر ربك معلقاً على مشيئته ما تقول أنك ستفعله

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٥٣١) .

[2] سورة الكهف (٢٣-٢٤) .

غداً إذا تذكرت بعد النسيان . وهذا القول هو الظاهر . لأنه يدل عليه قوله تعالى : { وَلاَ تَقُولَنَّ لشيء إني فَاعِلٌ ذالِكَ غَداً إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ } وهو قول الجمهور . وممن قال به ابن عباس والحسن البصري وأبو العالية وغيرهم .

القول الثاني : أن الآية لا تعلق لها بما قبلها . أن المعنى : إذا وقع منك النسيان لشيء فاذكر الله . لأن النسيان من الشيطان . كما قال تعالى عن فتى موسى : { وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ } ، وذكر الله تعالى يطرد الشيطان ... وقول من قال إذا نسيت ، أي إذا غضبت ، ظاهر السقوط "[1].

قال أبوالسعود :" { واذكر ربك } بقولك إن شاء الله مداركاً له { إذا نسيت } إذا فرط منك نسيان ثم ذكرته "[2].
وقال ابن كثير :" واذكر ربك إذا نسيت) أن تقول إن شاء الله "[3].

** **ومن ذلك أيضاً** آية سورة الأنعام : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[4].

---

[1] أضواء البيان (٣/٣٥٥) بتصرف .
[2] تفسير أبي السعود (٥/٢١٧) .
[3] تفسير ابن كثير (٣/٨٠) .
[4] سورة الأنعام (٦٨) .

قال قوم هذا خطاب من الله سبحانه لنبيه والمراد بذلك الأمة ، وكأن القائلين بذلك ذهبوا إلى تنزيه النبي عن النسيان وهم كبار الرافضة قبحهم الله .

فلا عذر لهم في هذا : لجواز النسيان على النبي ﷺ قال الله تعالى ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ ﴾ [1]

وقال مخبراً عن نفسه:" إنما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كما تَنْسَوْنَ فإذا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي " [2] .

وعن عَائِشَةَ قالت : سمع رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا يَقْرَأُ في سُورَةٍ بِاللَّيْلِ فقال يَرْحَمُهُ الله لقد أَذْكَرَنِي كَذَا وكَذَا آيَةً كنت أُنْسِيتُهَا من سُورَةِ كَذَا وكَذَا " [3] .

وعن أبيّ أن النبي صلى الله عليه وسلم نسي آية من كتاب الله وفي القوم أبيّ فقال يا رسول الله نسيت آية كذا وكذا أو نسيتها قال :" لا بل

---

[1] سورة الأعلى الآية (٦) .

[2] جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه (١/١٥٦) برقم (٣٩٢) .

[3] متفق عليه : واللفظ للبخاري ، صحيح البخاري (٤/١٩٢٢) برقم (٤٧٥١) ، ومسلم (١/٥٤٣) برقم (٧٨٨) .

نسيتها" [1] . كراهية إضافة اللفظ إلى القرآن لقوله تعالى ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [2،3].

قال الذهبي :" نهى الله رسوله أن يجالس أهل الاستهزاء بكتاب الله إلا ريث ما ينسى فيعرض إذا ذكر " [4].

والنبي ﷺ داخل في مدى التعليم القرآني في آية البقرة ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [5] .

على ما يلهمه سياقها .

نسيان نبينا ﷺ وصلاته الظهر خمساً :

– عن إبراهيم بن سُوَيْدٍ قال : صلى بِنَا عَلْقَمَةُ الظُّهْرَ خَمْسًا فلما سَلَّمَ قال الْقَوْمُ يا أَبَا شِبْلٍ قد صَلَّيْتَ خَمْسًا قال كَلَّا ما فَعَلْتُ قالوا بَلَى قال وَكُنْتُ في نَاحِيَةِ الْقَوْمِ وأنا غُلَامٌ فقلت بَلَى قد صَلَّيْتَ خَمْسًا قال لي وَأَنْتَ أَيْضًا يا أَعْوَرُ تَقُولُ ذَاكَ قال قلت نعم قال فَانْفَتَلَ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ

---

[1] صحيح ابن خزيمة (٧٣/٣) برقم (١٦٤٧) .

[2] سورة طه الآية (١٢٦) .

[3] أحكام القرآن – ابن العربي – (٢١٦/٢) بتصرف .

[4] سير أعلام النبلاء (٢٨٠/٥) .

[5] سورة البقرة من الآية (٢٨٦) .

ثُمَّ قال: قال عبد اللَّهِ صلى بِنَا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَمْسًا فلما انْفَتَلَ تَوَشْوَشَ الْقَوْمُ بَيْنَهُمْ فقال ما شَأْنُكُمْ قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ هل زِيدَ في الصَّلَاةِ قال لَا قالوا فَإِنَّكَ قد صَلَّيْتَ خَمْسًا فَانْفَتَلَ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ قال:" إنما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كما تَنْسَوْنَ" وزاد بن نُمَيْرٍ في حَدِيثِهِ " فإذا نَسِيَ أحدكم فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ" [1] .

غير أن الجملة كما يتبادر لنا توجب على المسلم أن يعتقد أن النبي ﷺ لا يمكن أن ينسى تبليغ شيء من القرآن الذي يوحي الله به إليه إلا ما شاء الله أن ينساه ، ويكون هذا من نوع النسخ القرآني ، لأن ذلك أكثر ملاءمة ، والله تعالى أعلم [2] .

نسيان نبينا وصلاته الظهر ركعتين :

ومن ذلك نسيان الرسول ﷺ في غير البلاغ ، وفي غير أمور التشريع

- عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم انْصَرَفَ من اثْنَتَيْنِ فقال له ذُو الْيَدَيْنِ أَقَصُرَتْ الصَّلَاةُ يا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ نَسِيتَ فقال أَصَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ فقال الناس نعم فَقَامَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

---

[1] صحيح مسلم (٤٠١/١) برقم (٥٧٢) .

[2] التفسير الحديث (٥١٥/١) .

فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ كَبَّرَ ثُمَّ سَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أو أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ ثُمَّ رَفَعَ" [1] .

وقد صرح النبي ﷺ بطروء النسيان عليه كعادة البشر فقال :" إنما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كما تَنْسَوْنَ فإذا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي " [2] .

قال هذا: بعد نسيانه في إحدى الصلوات ، أما الحديث الذي يروى بلفظ :" إني لا أنسى ولكن أنسَّى لأسنّ " فلا يجوز أن يعارض به الحديث السابق ، لأن هذا الحديث كما يقول ابن حجر :" لا أصل له فإنه من بلاغلات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد " [3].

**** الامتنان على النبي ﷺ بقوله : (سنقرئك فلا تنسى)**

امتن الله تعالى على عبده ونبيه ﷺ بقوله : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ ﴾ [4] .

قال الكرمي :" سورة سبح مكية وتسمى سورة الأعلى وآياتها تسع عشرة آية ، وكلماتها اثنتان وسبعون وحروفها مائتان وإحدى وأربعون،

---

[1] صحيح البخاري (٢٦٤٨/٦) برقم (٦٨٢٣) .

[2] سبق تخريجه .

[3] نيل الأوطار (١١٧/٣) .

[4] سورة الأعلى (٦-٧) .

وفيها ناسخ لا منسوخ قوله تعالى { سنقرئك فلا تنسى } ناسخ لقوله تعالى { ولا تعجل بالقرآن } سورة الغاشية "[1].

وهذا خلف من القول : لأن الله عز وجل لم يأمره بالنسيان ، ثم نهاه عنه ، ومن قال ذلك ظن أن (لا) للنهي ، وما هي للنهي لا من جهة المعنى ، ولا من جهة اللفظ .

أما اللفظ : فغير مجزوم ، وأما المعنى : فليس النسيان مما يقدر الإنسان على اجتنابه ، فينهى عنه ، وهذا خبر أخبر الله عز وجل به نبيه ﷺ أن يقرئه ، فلا ينسى ، فما معنى النسخ ؟

فإن قالوا : كيف يعجل بالقرآن خوف النسيان ، فقال الله عز وجل :" سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ " ؟

قلت : فأين النسخ ؟ والآيتان في معنى واحد ؟

قال ابن عباس : كان النبي ﷺ يلقى في التنزيل شدة ، فكان يحرك شفتيه كراهة أن يتفلت منه ، فأنزل الله عز وجل ذكره : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[2] :" إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ " : أي

---

[1] قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن (٢٢٤/١) .

[2] سورة القيامة (١٦-١٩) .

جمعه في صدرك ، وأن تقرأه ، " فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ" أي فأنصت واستمع ، "ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ" أي : علينا أن نبينه بلسانك ، قال: فكان النبي ﷺ إذا أتاه جبريل عليه السلام يستمع فإذا انطلق قرأه كما قرأ .

وقال الضحاك : كان يفعل ذلك مخافة أن ينساه ، فقيل له : إن علينا أن نحفظه في قلبك ، وأن تقرأه بعد حفظه .

وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً ، ومجاهد ، وقتادة ، وقال قتادة : إن علينا جمعه وقرآنه : أي جمعه في قلبك حتى تحفظه ، وقرآنه : أي تأليفه ، فأي فرق بين هذه الآية وبين آية الأعلى ؟

فالقول بأن هذا منسوخ بذاك خطأ : من جهة أن الخبر لا يدخله النسخ ، ومن جهة أن المعنى فيهما واحد ، وما كان

ينبغي أن نتكلم على هذا ، فإنه لفساده يوقع كلام المتكلم عليه في الضيم [1] .

قال الشيخ الشنقيطي : " هذه الآية الكريمة تدل على أن النبي ﷺ ينسى من القرآن ما شاء الله أن ينساه ، وقد جاءت آيات كثيرة تدل على حفظ القرآن من الضياع كقوله تعالى :﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ

[1] جمال القراء وكمال الإقراء ص (٤٩٢) .

بِهِۦ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [1] وقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [2].

والجواب : أن القرآن وإن كان محفوظاً من الضياع فإن بعضه ينسخ بعضاً ، وإنساء الله نبيه بعض القرآن في حكم النسخ ، فإذا أنساه آية فكأنه نسخها ، ولابد أن يأتي بخير منها أو مثلها ، كما صرح به تعالى في قوله : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ الآية [4] وأشار هنا لعلمه بحِكْمة النسخ بقوله : " إنه يعلم الجهر وما يخفى " [5] .

وقال الطبري : " وقوله سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله " يقول تعالى ذكره سنقرئك يا محمد هذا القرآن فلا تنساه إلا ما شاء الله .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله فلا تنسى إلا ما شاء الله، فقال بعضهم : هذا إخبار من الله نبيه عليه الصلاة والسلام أنه يعلمه هذا

---

[1] سورة القيامة (١٦-١٧) .

[2] سورة الحجر الآية (٩) .

[3] سورة البقرة من الآية (١٠٦) .

[4] سورة النحل من الآية (١٠١) .

[5] دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٢٥٧) .

القرآن ويحفظه عليه ، ونهي منه أن يعجل بقراءته كما قال جل ثناؤه" لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه".

فعن مجاهد قوله :" سنقرئك فلا تنسى " قال: كان يتذكر القرآن في نفسه مخافة أن ينسى .

فقال قائلو هذه المقالة: معنى الاستثناء في هذا الموضع على النسيان ، ومعنى الكلام فلا تنسى إلا ما شاء الله أن تنساه ولا تذكره قالوا ذلك هو ما نسخه الله من القرآن فرفع حكمه وتلاوته .

وعن قتادة : "سنقرئك فلا تنسى": كان صلى الله عليه وسلم لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله .

وقال آخرون : معنى النسيان في هذا الموضع :الترك ، وقالوا معنى الكلام سنقرئك يا محمد فلا تترك العمل بشيء منه إلا ما شاء الله أن تترك العمل به مما ننسخه .

وكان بعض أهل العربية يقول في ذلك: لم يشأ الله أن تنسى شيئاً ، وهو كقوله " خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك " ولا يشاء .

قال وأنت قائل في الكلام: لأعطينك كل ما سألت إلا ما شئت وإلا أن أشاء أن أمنعك ، والنية أن لا تمنعه ولا تشاء شيئاً ، قال وعلى هذا مجاري الأيمان يستثنى فيها ، ونية الحالف اللمام .

والقول الذي هو أولى بالصواب عندي قول من قال معنى ذلك : فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن ننسيكه بنسخه ورفعه ، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن ذلك أظهر معانيه " [1] .

قال البغوي :" (سنقرئك) سنعلمك بقراءة جبريل عليك (فلا تنسى إلا ما شاء الله) أن تناسه وما نسخ الله تلاوته من القرآن كما قال (ما ننسخ من آية أو ننسها) والإنساء نوع من النسخ ، وقال مجاهد والكلبي: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة أن ينساها فأنزل الله (سنقرئك فلا تنسى) فلم ينس بعد ذلك شيئاً " [2].

وقال ابن جزي :" سنقرئك فلا تنسى ": هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام لأنه كان أمياً لا يكتب وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن، وقيل : معنى الآية كقوله :" لا تحرك به لسانك" الآية فإنه عليه الصلاة والسلام كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفاً أن ينساه فضمن الله له أن لا ينساه ، وقيل: فلا تنسى نهى عن النسيان وقد علم الله أن ترك النسيان ليس في قدرة البشر فالمراد الأمر بتعاهده حتى لا ينساه وهذا بعيد لإثبات الألف في تنسى . "إلا ما شاء ": فيه وجهان : أحدهما أن معناه لا تنسى إلا ما شاء الله أن تنساه كقوله "أو ننسها" ، والآخر: أنه لا ينسى شيئاً ولكن قال إلا ما شاء

---

[1] تفسير الطبري (١٥٤/٣٠) .

[2] تفسير البغوي (٤٧٦/٤) .

الله تعظيماً لله بإسناد الأمر إليه كقوله " خالدين فيها.. إلا ما شاء الله " على بعض الأقوال، وعبر الزمخشري عن هذا بأنه من استعمال التقليل في معنى النفي ، والأول أظهر فإن النسيان جائز على النبي صلى الله عليه وسلم فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره ، ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع قراءة عباد بن بشير رحمه الله" لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد نسيتها " " ونيسرك لليسرى ": عطف على سنقرؤك ومعناه نوفقك للأمور المرضية التي توجب له السعادة ، وقيل: معناه للشريعة اليسرى من قوله عليه الصلاة والسلام "دين الله يسر" [1] أي سهل لا حرج فيه " [2] .

وقال أبوحيان :" { سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى } : قال الحسن وقتادة ومالك : هذا في معنى { لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ } ، وعده الله أن يقرئه ، وأخبره أنه لا ينسى ، وهذه آية للرسول صلى الله عليه وسلم في أنه أُمِّيّ ، وحفظ الله عليه الوحي ، وأمنه من نسائه . وقيل : هذا وعد بإقراء السور ، وأمر أن لا ينسى على معنى التثبيت والتأكيد ، وقد علم أن النسيان ليس في قدرته ، فهو نهي عن إغفال التعاهد ، وأثبتت الألف في { فَلاَ تَنسَى}، وإن كان مجزوماً بلا التي للنهي لتعديل رءوس الآي.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ :" إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ من الدُّلْجَةِ " (٢٣/١) برقم (٣٩) .

[2] التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٤/٢) .

{ إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ } ، الظاهر أنه استثناء مقصود . قال الحسن وقتادة وغيرهما : مما قضى الله نسخه ، وأن ترتفع تلاوته وحكمه . وقال ابن عباس : إلا ما شاء الله أن ينسيك لتسن به ، على نحو قوله عليه الصلاة والسلام : (أني لأنسى وأنسى لأسن) [1] . وقيل : إلا ما شاء الله أن يغلبك النسيان عليه ، ثم يذكرك به بعد .

كما قال عليه الصلاة والسلام ، حين سمع قراءة عباد بن بشير : (لقد ذكرني كذا وكذا آية في سورة كذا وكذا) . وقيل : { فَلاَ تَنسَى } : أي فلا تترك العمل به إلا ما شاء الله أن تتركه بنسخه إياه ، فهذا في نسخ العمل . وقال الفراء وجماعة : هذا استثناء صلة في الكلام على سنة الله تعالى في الاستثناء ، وليس ثم شيء أبيح استثناؤه .

وأخذ الزمخشري هذا القول فقال : وقال : إلا ما شاء الله ، والغرض نفي النسيان رأساً ، كما يقول الرجل لصاحبه : أنت سهيمي فيما أملك إلا ما شاء الله ، ولا يقصد استثناء شيء ، وهو من استعمال القلة في معنى النفي ، انتهى . وقول الفراء والزمخشري يجعل الاستثناء كلا استثناء ، وهذا لا ينبغي أن يكون في كلام الله تعالى ، بل ولا في كلام فصيح . وكذلك القول بأن لا في { فَلاَ تَنسَى } للنهي ، والألف ثابتة لأجل الفاصلة ، وهذا قول ضعيف . ومفهوم الآية في غاية الظهور ، وقد تعسفوا في فهمها . والمعنى أنه تعالى أخبر أنه سيقرئه ، وأنه لا ينسى إلا ما شاء الله ، فإنه ينساه إما النسخ ، وإما أن يسن ، وإما على أن

---

[1] سبق تخريجه .

يتذكر . وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من النسيان فيما أمر بتبليغه، فإن وقع نسيان ، فيكون على وجه من الوجوه الثلاثة.

ومناسبة { سَنُقْرِئُكَ } لما قبله : أنه لما أمره تعالى بالتسبيح ، وكان التسبيح لا يتم إلا بقراءة ما أنزل عليه من القرآن ، وكان يتذكر في نفسه مخافة أن ينسى ، فأزال عنه ذلك وبشره بأنه تعالى يقرئه وأنه لا ينسى ، استثنى ما شاء الله أن ينسيه لمصلحة من تلك الوجوه"[1].

وقال الرازي :" هذه الآية تدل على المعجزة من وجهين :

الأول : أنه كان رجلاً أمياً فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار ولا كتبة ، خارق للعادة فيكون معجزاً .

الثاني : أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة ، فهذا إخبار عن أمر عجيب غريب مخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا إخباراً عن الغيب فيكون معجزاً ، أما قوله : { فَلاَ تَنسَى } فقال بعضهم : { فَلاَ تَنسَى } معناه النهي ، والألف مزيدة للفاصلة ، كقوله : { السَّبِيلاْ } (الأحزاب : ٦٧) يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه ، والقول المشهور أن هذا خبر والمعنى سنقرئك إلى أن تصير بحيث لا تنسى وتأمن النسيان ، كقولك سأكسوك فلا تعرى أي فتأمن العرى ، واحتج أصحاب هذا القول على ضعف القول الأول بأن ذلك القول لا يتم إلا عند التزام مجازات في هذه الآية منها : أن النسيان لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فلا يصح ورود الأمر والنهي به ، فلا بد

---

[1] البحر المحيط (٤٥٦/١٠) .

وأن يحمل ذلك على المواظبة على الأشياء التي تنافي النسيان مثل الدراسة وكثرةالتذكر . وكل ذلك عدول عن ظاهر اللفظ .

ومنها: أن تجعل الألف مزيدة للفاصلة ، وهو أيضاً خلاف الأصل ،

ومنها: أنا إذا جعلناه خبراً كان معنى الآية بشارة الله إياه بأني أجعلك بحيث لا تنساه ، وإذا جعلناه نهياً كان معناه أن الله أمره بأن يواظب على الأسباب المانعة من النسيان وهي الدراسة والقراءة ، وهذا ليس في البشارة وتعظيم حاله مثل الأول ، ولأنه على خلاف قوله : { لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ } (القيامة : ١٦) ."[١] .

[١] تفسير الرازي (١٢٩/٣١) .

المبحث الثالث : نسيان أهل الكتاب والكفار ما ذكروا به

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[2] .

لقد نص القرآن الكريم على أن الذين نسوا الله هم المنافقون في قوله تعالى : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[3].

وقوله تعالى :" فَنَسِيَهُمْ" أي : أنساهم أنفسهم ، لأن الله تعالى لا ينسى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[4] .

---

[1] سورة الأعراف الآية (١٦٥) .

[2] سورة الأنعام الآية (٤٤) .

[3] سورة التوبة الآية (٦٧) .

[4] سورة مريم من الآية (٦٤) .

وقد جاء أيضاً وصف كل من اليهود والنصارى والمشركين بالنسيان في الجملة .

ففي اليهود يقول تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [1] .

وفي النصارى يقول تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [2]

وفي المشركين يقول تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [3] .

فيكون التحذير منصباً أصالة على المنافقين ، وشاملاً معهم كل تلك الطوائف لاشتراكهم جميعاً في أصل النسيان [4].

---

[1] سورة المائدة من الآية (١٣) .

[2] سورة المائدة من الآية (١٤) .

[3] سورة الأعراف الآية (٥١) .

[4] أضواء البيان (٥٤/٨) .

** قال تعالى : ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1].

جاء في تفسير الطبري :" عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب، " أفلا تعقلون " أي : تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي وتنقضون ميثاقي وتجحدون ما تعلمون من كتابي " [2] .

عن ابن عباس : في قوله :" أتأمرون الناس بالبر" يقول أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة وتنسون أنفسكم [3].

عن السدي : قال:" كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وهم يعصونه".

عن قتادة: قال: " كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون فعيرهم الله " [1] .

---

[1] سورة البقرة الآية (٤٤) .

[2] تفسير الطبري (٢٥٨/١) .

[3] تفسير الدر المنثور (١٥٦/١) ، تفسير ابن كثير (٨٦/١) .

قال ابن جريج : " أتأمرون الناس بالبر" أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويدعون العمل بما يأمرون به الناس فعيرهم الله بذلك، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة.

قال ابن زيد:" هؤلاء اليهود كان إذا جاء الرجل يسألهم ما ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمروه بالحق فقال الله لهم " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون " ٢.

وأورد ابن أبي حاتم : " عن أنس بن مالك قال : لما عرج بالنبي ﷺ مرَّ على قوم تقرض شفاههم ، فقال : " يا جبريل من هؤلاء "؟ قال : هؤلاء الخطباء من أمتك ، الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، ويتلون الكتاب ولا يعقلون " ٣ ، ١ .

---

[١] تفسير ابن أبي حاتم (١٠١/١) ، تفسير ابن كثير (٨٦/١) ، تفسير القرطبي (٢٤٨/١) ، وانظر : العجاب في بيان الأسباب (٢٥٢/١) .

[٢] تفسير ابن كثير (١٥٤/١) .

[٣] تفسير ابن كثير (٢٤٨/١) ، وصحيح ابن حبان برقم (٣٥) ، والطبراني في المعجم الأوسط (١٤٤/٨) برقم (٨٢٢٣) ، وأبونعيم في حلية الأولياء (٢٤٩/٦) ، ورواه أبو يعلى في المسند (١٨٠/٧) برقم (٤١٦٠) ، ومسند البزار (٣٥٦/٢) وقال : هذا الحديث لا نعلم رواه عن علي بن زيد غير حماد بن سلمة ممن يحتج بحديثه .

قال الطبري :" قال أبو جعفر : وجميع الذي قال في تأويل هذه الآية من ذكرنا قوله متقارب المعنى ، لأنهم وإن اختلفوا في صفة البر الذي كان القوم يأمرون به غيرهم الذين وصفهم الله بما وصفهم به فهم متفقون في أنهم كانوا يأمرون الناس بما لله فيه رضاً من القول أو العمل ويخالفون ما أمروهم به من ذلك إلى غيره بأفعالهم

فالتأويل الذي يدل على صحته ظاهر التلاوة إذاً أتأمرون الناس بطاعة الله وتتركون أنفسكم تعصيه فهلا تأمرونها بما تأمرون به الناس من طاعة ربكم ، معيرهم بذلك ومقبحاً إليهم ما أتوا به .

ومعنى نسيانهم أنفسهم في هذا الموضع نظير النسيان الذي قال جل ثناؤه" نسوا الله فنسيهم " [٢] بمعنى تركوا طاعة الله فتركهم الله من ثوابه " [٣] .

قال الزركشي :" { أفلا تعقلون } وهذه الفاصلة لا تقع إلا في سياق إنكار فعل غير مناسب في العقل نحو قوله تعالى { أتأمرون الناس

قال ابن عساكر :" هذا حديث غريب " " معجم ابن عساكر (٢/٦٦٧) .

[١] تفسير ابن أبي حاتم (١/١٠٠) .

[٢] سورة التوبة من الآية (٦٧) .

[٣] تفسير الطبري (١/٢٥٩) .

بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون } لأن فاعل غير المناسب ليس بعاقل "[1] .

والآية تنديد بأسلوب السؤال الاستنكاري عما إذا كان يصح مع دعواهم العقل أن يأمروا الناس بالبر والعمل الصالح ، وينسون أن يفعلوا هم ذلك ، وهم يعرفون مدى ما في هذا من مناقضة لأنهم يقرأون الكتاب ويعلمون منه الحق والواجب [2] .

قال ابن كثير :" يقول تعالى: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمرون بما تأمرون الناس به ، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب ، وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله ، أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتنتبهوا من رقدتكم وتتبصروا من عمايتكم " [3] .

وقال البقاعي : " ولما أمر علماءهم بما تركوا من معالي الأخلاق من الإيمان والشرائع بعد أمرهم بذكر ما خصهم به من النعم ، ونهاهم عما ارتكبوا من سفسافها من كفر النعم ونقض العهود وما تبع ذلك ، وكانوا يأمرون غيرهم بما يزعمون أنه تزكية ، وينهونهم عما يدعون أنه تردية ، أنكر عليهم ترغيباً فيما ندبهم إليه وحثهم عليه

---

[1] البرهان في علوم القرآن (٨٤/١) .

[2] التفسير الحديث (١٦١/٦) .

[3] تفسير ابن كثير (٢٤٦/١) .

وتوبيخاً على تركه بقوله :" أتأمرون " : من الأمر وهو الإلزام بالحكم ، " الناس بالبر" : وهو التوسع في أفعال الخير .

" وتنسون " : والنسيان : السهو الحادث بعد حصول العلم ، " أنفسكم " : أي تتركون حملها على ذلك ترك الناسي ، ولعله عبر به زيادة في التنفير عن هذا الأمر الفظيع الذي دل العقل دلالة بينة على فحشه ، لأن المقصود من أمر الغير بالبر النصيحة أو الشفقة ، وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو ينصح غيره وينسى نفسه ، والظاهر أن المراد به حكم التوراة ، كانوا يحملون عوامهم عليها ، وهم يعلمون دون العوام أن من حكم التوراة اتباع محمد ﷺ فقد نسوا أنفسهم من الأمر بأساس البر الذي لا يصح منه شيء إلا به " [1].

وقفة مهمة : لابد أن ننبه إلى أنه إذا كانت هذه الآيات قد نزلت في اليهود ، فليس معناها أنها تنطبق عليهم وحدهم ، بل هي تنطبق على أهل الكتاب جميعاً وعلى المسلمين كذلك ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

قال عبدالكريم الخطيب : " الخطاب هنا خاص لبني إسرائيل ، ولا تمنع خصوصيته من عموميته ، وبهذا يكون الخطاب لكل من يحسن القول ، ولا يحسن العمل ، ويندب الناس إلى الخير ، ويأمرهم

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/٣٣٥) .

به ، ولا ينظر إلى نفسه ، ولا يحملها على أخذ حظها من هذا الخير الذي يدعو إليه .. وفي ذلك ظلم للنفس ، وخسران مبين "[1].

فهذه الآيات وإن جاءت في سياق اليهود وذكر ما يوعظون به ويزجرون ، إلا أن هذه الأمة مخاطبة بها ، فالمؤمن الحق الذي يريد أن يكون رأساً في الدين يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويلتزم جماعة المسلمين ، وإذا أمر بشيء بدأ به بنفسه ، قال بعضهم :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ابدأ بنفسك وانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم .

قال صاحب الظلال :" ومع أن هذا النص القرآني كان يواجه ابتداء حالة واقعة من بني إسرائيل ، فإنه في إيحائه للنفس البشرية ، ولرجال الدين بصفة خاصة ، دائم لا يخص قوماً دون قوم ، ولا يعني جيلاً دون جيل .

إن آفة رجال الدين – حين يصبح الدين حرفة وصناعة لا عقيدة حارة دافعة– أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، ويدعون إلى البر ويهملونه ، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويؤولون النصوص القاطعة خدمة للغرض والهوى ، ويجدون فتاوى وتأويلات قد تتفق في ظاهرها مع ظاهر النصوص ، ولكنها تختلف في حقيقتها عن حقيقة الدين ، لتبرير أغراض وأهواء لمن

---

[1] التفسير القرآني للقرآن (٧٩/١) .

يملكون المال أو السلطان ، كما كان يفعل أحبار يهود ، والدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه ، هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك لا في الدعاة وحدهم ولكن في الدعوات ذاتها ، وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم ، لأنهم يسمعون قولاً جميلاً ، ويشهدون فعلاً قبيحاً ، فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل ، وتخبو في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة ، وينطفىء في قلوبهم النور الذي يشعله الإيمان ، ولا يعودون يثقون في الدين بعدما فقدوا ثقتهم برجال الدين .

إن الكلمة لتنبعث ميتة ، وتصل هامدة ، مهما تكن طنانة رنانة متحمسة ، إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها ، ولن يؤمن إنسان بما يقول حقاً إلا أن يتحول هو ترجمة حية لما يقول ، وتجسيماً واقعياً لما ينطق ....

عندئذ يؤمن الناس ، ويثق الناس ، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق ... إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من رنينها ، وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها ...إنها تتحول يومئذ دفعة حية لأنها منبثقة من حياة .

والمطابقة بين القول والفعل ، وبين العقيدة والسلوك ، ليست مع هذا أمراً هيناً ، ولا طريقاً معبداً ، إنها في حاجة إلى رياضة وجهد ومحاولة، وإلى صلة بالله ، واستمداد منه ، واستعانة بهديه ، فملابسات الحياة وضروراتها واضطراراتها كثيراً ما تنأى بالفرد في واقعه عما يعتقده في ضميره ، أو عما يدعو إليه غيره .

والفرد الفاني ما لم يتصل بالقوة الخالدة ضعيف مهما كانت قوته ، لأن قوى البشر والطغيان والإغواء أكبر منه وقد يغالبها مرة ومرة ومرة ، ولكن لحظة ضعف تنتابه فيتخاذل ويتهاوى ، ويخسر ماضيه وحاضره ومستقبله ، فأما وهو يركن إلى قوة الأزل والأبد فهو قوي قوي ، أقوى من كل قوي ، قوي على شهوته وضعفه ، قوي على ضروراته واضطراراته ، قوي على ذوي القوة الذين يواجهونه "[1] .

وما أجمل قول المراغي :" ... ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من التوبيخ والتأنيب الذي ليس بعده زيادة لمستزيد ، فإن الآمر بما لا يأتمر به تكون الحجة قائمة عليه بلسانه "[2] .

---

[1] في ظلال القرآن (٦٨/١) بتصرف .

[2] تفسير المراغي (١٠٥/١) .

الفصل الثاني

أسباب النسيان في القرآن الكريم

السبب الأول : الشيطان

إن وسوسة الشيطان في قلب ابن آدم من أهم الأسباب التي تثنيه عن الحق ، وتجعله متشرباً بالأمراض ، وقد توعد الشيطان ابن آدم ، وأنه يجتهد في غوايته ، ويقعد له في كل طريق يقوده إلى الخير حتى يكفه عنه ، والأخطر من ذلك أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وأوتي من أسباب الغواية والإضلال ما الله أعلم به ، وقد بين القرآن الكريم ذلك كله بياناً شافياً لا مزيد عليه ، وقص علينا ما يكون من الشيطان في الدنيا وما يتبرأ به منا في الآخرة .

وخطورة هذا السبب على المؤمنين : أنه غير مختص بالكفار والمنافقين ، لأن الشيطان يوسوس لكل أحد ، وانشغاله بالمؤمنين أكثر من انشغاله بالكفار والمنافقين .

* قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَـٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [1].

قال مكي بن أبي طالب :" وإذا رأيت - يا محمد- المشركين الذين يخوضون في آيات الله ، وخوضهم فيها : استهزاؤهم

---

[1] سورة الأنعام الآيتان (٦٨-٦٩) .

بها وتكذيبهم لها ، " فأعرض عنهم " : فصد عنهم بوجهك ، وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله ، وقوله :" وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ " :أي : إن أنساك الشيطان نهي الله لك عن الجلوس معهم في حال استهزائهم ، ثم ذكرت ذلك ، فقم عنهم ولا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين .

قال ابن جريج : كان المشركون يجلسون إلى النبي يستمعون منه ، فإذا سمعوا استهزأوا ، فنهي النبي ﷺ عن مجالستهم إذا استهزأوا إلا أن ينسى ، فإن نسي ثم ذكر ، أمر أن يقوم عند التذكر " [1] .

قال أبوحيان :"{ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } أي إن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم ، فلا تقعد معهم بعد الذكرى أي: ذكرك النهي" [2] .

وقال السدي عن أبي مالك وسعيد بن جبير في قوله (وإما ينسينك الشيطان) قال : إن نسيت فذكرت[3] .

وقال البقاعي : " .. ولما كان الله تعالى – وله الحمد– قد رفع حكم النسيان عن هذه الأمة ، قال مؤكداً :" وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ" أي : إنساء

---

[1] الهداية إلى بلوغ النهاية (٢٠٥٩/٣) .

[2] البحر المحيط (١٥٧/٤) .

[3] تفسير ابن كثير (١٤٥/٢) .

عظيماً ، إشارة إلى أن مثل هذا الأمر جدير بأن لا ينسى ، (فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى) : أي : التذكر لهذا النهي "[1] .

وقوله : " وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ" يفيد: أن التكليف ساقط عن الناسي[2].

ويستفاد من ذلك : أنه إذا وقع منك النسيان لشيء فاذكر الله . لأن النسيان من الشيطان .

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤٦/٧)

[2] تفسير الرازي (٢٢/١٣) .

السبب الثاني : الكفر والنفاق

الكفر والنفاق من أسباب النسيان ، وهما أيضاً من أعظم أمراض القلوب ، لأنهما مصدر كل ذنب ، وأصل كل فتنة ، وإنما جمعت بينهما لأن القرآن ينسب النسيان لهما معاً

قال تعالى : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [1]

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ [2]

وفي هذه الآية يلاحظ أن المعنى يتوقف أساساً على صفة الكفر التي ذيلت بها الآية في قوله تعالى : "قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً " فهذا الكفر هو السبب الأساس في الانحراف عن جادة الطريق ، ونسيان نعمة الله تعالى في حال الرخاء .

---

[1] سورة التوبة (٦٧-٦٨) .

[2] سورة الزمر الآية (٨) .

الكفر لغة واصطلاحاً :

قال ابن دريد :" وأصل الكفر التغطية على الشيء والستر له ، فكأن الكافر مغطى على قلبه ، وأحسب أن لفظه لفظ فاعل في معنى مفعول ، وكفر فلان النعمة : إذا لم يشكرها ، والكفر : نقيض الإيمان ، ويقال لأهل دار الحرب : قد كفروا ، أي : عصوا وامتنعوا ، والكفر : نقيض الشكر ، يقال : كفر النعمة أي لم يشكرها ،

والكفر أربعة أخماء :- كفر الجحود مع معرفة القلب ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ ﴾ [1] . - وكفر المعاندة : وهو أن يعرف بقلبه ويأبى بلسانه .

- وكفر النفاق : وهو أن يؤمن بلسانه والقلب كافر . - وكفر الإنكار: وهو كفر القلب واللسان " [2].

وقال الأزهري :" وأما الكفر فله وجوه : وأصله مأخوذ من كفرت الشيء إذا غطيته ، ومنه قيل لليل: كافر لأنه يستر الأشياء بظلمته

---

[1] سورة النمل الآية (١٤) .

[2] العين (٣٥٦/٥) .

، وقيل : للذي لبس درعاً ولبس فوقه ثوباً كافر لأنه غطى درعه بالذي لبسه فوقها ، وفلان كفر نعمة الله : إذا سترها فلم يشكرها .." [1].

الكفر اصطلاحاً : هو ستر نعمة المنعم بالجحود ، أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم [2].

وقيل : هو الإنكار المتعمد لما جاء به محمد ﷺ أو بعض ما جاء به محمدﷺ مما علم من دينه بالضرورة ، وهذا هو الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة وما عداه فهو باطل .

قال الراغب : " والكفر يستعمل تارة في الجحود المطلق ، وتارة في جحود الباري خاصة " [3].

الكفر والكفران والكفور : قال المناوي :" الكفر : تغطية ما حقه الإظهار ، والكفران : ستر نعمة المنعم بترك شكرها ، وأعظم الكفر: جحود الوحدانية أو النبوة أو الشريعة ، ولفظ الكفران : في جحود النعمة أكثر استعمالاً ،والكفر : في الدين أكثر ،والكفور : فيهما جميعاً" [4].

---

[1] الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص (٢٤٩) .

[2] التعريفات- الجرجاني – ص (١٨٥) .

[3] تفسير الراغب الأصفهاني (١/١١) .

[4] التوقيف ص (٢٨٢) .

أما النفاق لغة : اسم مأخوذ من مادة " ن ف ق " التي تدل على الخروج ، فالنفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان ، والنّفق : المسلك النافذ الذي يمكن الخروج منه [1] .

قال أبوعبيد : سمي المنافق منافقاً للنفق : وهو السرب في الأرض ، وقيل : إنما سمي منافقاً لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاءه وله جحر آخر يقال له القاصعاء ، فإذا طلب من النّافقاء قصع ، أي : خرج من القاصعاء ، فهو يدخل في النافقاء ويخرج من القاصعاء، أو يدخل في القاصعاء ويخرج من النافقاء ، يقال : نفق به ونافق ، وهكذا يفعل المنافق ، يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه .

ومنه اشتقاق المنافق في الدين ، والنفاق : بالكسر فعل المنافق ، والنفاق : الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر ، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به [2] .

وخلاصة القول : ما قاله ابن رجب : والذي فسره به أهل العلم المعتبرون أن النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر ، وإظهار الخير وإبطان خلافه[1] .

---

[1] المقاييس (٥/٤٥٤) .

[2] لسان العرب (١٠/٣٥٩) ، مختار الصحاح (٦٧٣) ، وجمهرة اللغة (٩/١٥٠) .

واصطلاحاً : قال الجرجاني : النفاق : إظهار الإيمان باللسان ، وكتمان الكفر بالقلب [٢] .

أقسام النفاق : ذكر الحافظ ابن رجب أن النفاق ينقسم شرعاً إلى قسمين :

أحدهما : النفاق الأكبر: وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه ، وهذا النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم ، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار .

والثاني : النفاق الأصغر : وهو نفاق العمل : وهو أن يظهر الإنسان علانية ويبطن ما يخالف ذلك [٣] .

** قال تعالى ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

---

[١] جامع العلوم والحكم ص (٣٧٥) .

[٢] التعريفات ص (٢٤٥) .

[٣] جامع العلوم والحكم ص (٣٧٥) .

وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [1]

هذه الآية وغيرها تشير إلى صفات المنافقين وأن كفرهم نسيان وجحود وستر للمنعم وما أنعم به

قال الراغب :" الشكر : تصور النعمة وإظهارها ، ويضاده الكفر : وهو نسيان النعمة وسترها " [2] .

قال الشوكاني :" ذكر هاهنا جملة أحوال المنافقين وأن ذكورهم في ذلك كإناثهم ، وأنهم متناهون في النفاق والبعد عن الإيمان وفيه إشارة إلى نفي أن يكونوا من المؤمنين ورد لقولهم { ويحلفون بالله إنهم لمنكم } ثم فصل ذلك المجمل ببيان مضادة حالهم لحال المنافقين فقال { يأمرون بالمنكر } وهو كل قبيح عقلاً أو شرعاً { وينهون عن المعروف } وهو كل حسن عقلاً أو شرعاً ، قال الزجاج : هذا متصل بقوله { ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم } أي ليسوا من المؤمنين ولكن بعضهم من بعض أي متشابهون في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف { ويقبضون أيديهم } أي يشحون فيما ينبغي إخراجه من المال في الصدقة والصلة والجهاد فالقبض كناية عن الشح كما أن البسط كناية عن الكرم ، والنسيان : الترك أي تركوا ما أمرهم به فتركهم من رحمته وفضله ، لأن النسيان الحقيقي لا يصح إطلاقه على الله سبحانه وإنما

---

[1] سورة التوبة (٦٧-٦٨) .

[2] المفردات في غريب القرآن ص (٤٦١) .

أطلق عليه هنا من باب المشاكلة المعروفة في علم البيان ثم حكم عليهم بالفسق أي الخروج عن طاعة الله إلى معاصيه وهذا التركيب يفيد أنهم هم الكاملون في الفسق " [1] .

وقال صديق حسن خان :" النسيان : الترك ، أي تركوا ما أمرهم به فتركهم من رحمته وفضله ، أو تركوا ذكر الله وعبادته فترك الله ذكرهم فيمن ذكرهم بالرحمة والإحسان ، لأن النسيان الحقيقي لا يصح إطلاقه على الله سبحانه ، وإنما أطلق عليه هنا من باب المشاكلة المعروفة في علم البيان ، فهو مجاز مرسل " [2] .

** وأما في جانب الكفر والشرك : اللذان هما أساس النسيان

فقد ورد قول الله تعالى :﴿ * وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨ ﴾ [3] .

وفي هذه الآية نلاحظ أن المعنى يتوقف أساساً على صفة الكفر التي ذيلت بها الآية في قوله تعالى :"قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً " فهذا الكفر هو

---

[1] فتح القدير (٤٣٢/٢) .

[2] فتح البيان في مقاصد القرآن (٣٣٩/٥) .

[3] سورة الزمر الآية (٨) .

السبب الأساس في الانحراف عن جادة الطريق ، ونسيان نعمة الله تعالى في حال الرخاء .

والآية تنديد بخلق من أخلاق كثير من الناس ، فإذا أصاب أحداً ضرر أو أحدق به خطر لجأ إلى الله تعالى وحده واستغاث به ، فإذا ما استجاب له وكشف عنه ما ألم به وبدله نعمة بعد سوء نسيه وجعل له أنداداً وشركاء في الدعاء والعبادة متخلياً عن موقفه الأول ضالاً بذلك عن سبيل الله ، وفي آخر الآية أمر للنبي ﷺ بأن يقول لذلك الإنسان وأمثاله: تمتع بكفرك قليلاً في الدنيا فإنك من أصحاب النار جزاء ما أنت فيه من ضلال وتناقض[1] .

وفي روح البيان :" وفي هذا إيذان بأن نسيانه بلغ إلى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلاً عن أن يعرفه من هو فيعود إلى رأس كفرانه وينهمك في كبائر عصيانه ، ويشرك بمعبوده ويصر على جحوده ، وذلك لكون دعائه المحسوس مغلولاً بالضر الممسوس لا ناشئاً عن الشوق إلى الله المأنوس " [2] .

---

[1] التفسير الحديث (٣٠٣/٤) .

[2] روح البيان (٧٩/٨) بتصرف .

السبب الثالث : الظلم

الظلم يعمي القلب ، ويصد صاحبه عن الحق ، ويتسبب في النسيان الشديد ، وصاحبه غافل عن عبادة ربه ، ناس لوعده ووعيده ، منهمك في ظلم الناس والاعتداء عليهم ، وهو من أهم وأعم أسباب أمراض القلوب ، ومن أخطر أسباب النسيان ، وما من معصية إلا وصف صاحبها بأنه ظالم لنفسه .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [1]

قال الفخر الرازي :" إعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار جدالهم بالباطل وصفهم بعده بالصفات الموجبة للخزي والخذلان .

الصفة الأولى : قوله : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِئَايَاتِ رَبِّهِ } أي لا ظلم أعظم من كفر من ترد عليه الآيات والبينات فيعرض عنها وينسى ما قدمت يداه أي مع إعراضه عن التأمل في الدلائل والبينات يتناسى ما قدمت يداه من الأعمال المنكرة والمذاهب الباطلة ، والمراد من النسيان التشاغل والتغافل عن كفره المتقدم .

---

[1] سورة الكهف الآية (٥٧) .

الصفة الثانية : (قوله) : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِئَايَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً " الآية.. [1] .

إنه لهو الظلم أعظم الظلم ، وهو الضلال أظلم الضلال ، أن يقع الإنسان في الوحل ، ثم يجيء من يمد يده إليه لاستنقاذه ، بعد أن يكشف له الحال الذي هو فيه ، فيأبى أن يسمع ، ويمتنع أن يجيب ، وانظر إلى تلك المنة العظيمة ، لإضافة هذا الإنسان الجحود إلى " ربه" واستدعائه إليه باسمه تعالى ، وبآلائه التي يضيفها عليه ، وهو يأبى إلا نفوراً ، وإلا إمعاناً في الكفر والضلال [2] .

(*)- النتائج السيئة للإعراض عن التذكرة بآيات الله وكونه من أعظم الظلم :

جاء في أضواء البيان :" وقوله { وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ } أي من المعاصي والكفر ، مع أن الله لم ينسه بل هو محصيه عليه ومجازيه ... وقال بعض العلماء في قوله { وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ } : أي تركه عمداً ولم يتب منه . وبه صدر القرطبي رحمه الله تعالى . وما ذكره في هذه الآية الكريمة من أن الإعراض عن التذكرة بآيات الله من أعظم الظلم ، قد زاد عليه في مواضع أخر بيان أشياء من النتائج السيئة ، والعواقب الوخيمة الناشئة من الإعراض عن التذكرة . **فمن نتائجه**

---

[1] تفسير الرازي (١٢١/٢١) .

[2] محاسن التأويل (٤٥/٧) .

السيئة : ما ذكره هنا من أن صاحبه من أعظم الناس ظلماً ، ومن نتائجه السيئة جعل الأكنة على القلوب حتى لا تفقه الحق ، وعدم الاهتداء أبداً كما قال هنا مبيناً بعض ما ينشأ عنه من العواقب السيئة : { إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُواْ إِذاً أَبَداً } ومنها انتقام الله جل وعلا من المعرض عن التذكرة ، كما قال تعالى : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ } [1] . ومنها :

كون المعرض كالحمار ، كما قال تعالى : { فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ . كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ }[2] .

ومنها: الإنذار بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ، كما قال تعالى : { فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ }[3] ، ومنها: المعيشة الضنك والعمى ، كما قال تعالى : { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَى }[4] ، ومنها: سلكه العذاب الصعد ، كما قال تعالى : { وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً }[5] ، ومنها: تقييض القرناء من الشياطين ، كما قال تعالى : { وَمَن يَعْشُ

---

[1] السجدة الآية (٢٢) .

[2] سورة المدثر (٤٩-٥٠) .

[3] سورة فصلت الآية (١٣) .

[4] سورة طه الآية (١٢٤) .

[5] سورة الجن من الآية (١٧) .

عَن ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ }[1] إلى غير ذلك من النتائج السيئة ، والعواقب الوخيمة ، الناشئة عن الإعراض عن التذكير بآيات الله جل وعلا ، وقد أمر تعالى في موضع آخر بالإعراض عن المتولي عن ذكره ، القاصر نظره على الحياة الدنيا ، وبين أن ذلك هو مبلغه من العلم ، فلا علم عنده بما ينفعه في معاده ، وذلك في قوله تعالى : { فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الحياة الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ }[2] . وقد نهى جل وعلا عن طاعة مثل ذلك المتولي عن الذكر الغافل عنه في قوله : { وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا }[3] [4] .

* ثم بين سبحانه وتعالى علة هذا الإعراض والنسيان فقال :" إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا" .

والأكنة : جمع كنان بمعنى : غطاء ، والوقر : الثقل والصمم ، يقال: فلان وقرت أذنه ، أي : ثقل سمعها وأصيبت بالصمم ، أي : إنا جعلنا على قلوب هؤلاء الظالمين المعرضين عن الحق ، أغطية تمنع قلوبهم عن وصول النور إليها ، وتحجبها عن فقه آياته – سبحانه – ،

---

[1] سورة الزخرف الآية (٣٦) .

[2] سورة النجم (٢٩-٣٠) .

[3] سورة الكهف من الآية (٢٨) .

[4] أضواء البيان (٣٠٩/٣) بتصرف .

وجعلنا أيضاً في آذانهم صمماً وثقلاً عن سماع ما ينفعهم ، وذلك بسبب استحبابهم العمى على الهدى ، وإيثارهم الكفر على الإيمان .

وإن تدعهم أيها الرسول الكريم إلى الهدى والرشد فلن يستجيبوا لك، ولن يهتدوا إذاً أبداً إلى الحق وإلى الصراط المستقيم ، بسبب زيغ قلوبهم ، واستيلاء الكفر والجحود والعناد عليها .

والضمير في قوله :" أن يفقهوه " يعود إلى الآيات ، وتذكيره وإفراده باعتبار المعنى ، إذ المراد منها القرآن الكريم .

قال ابن كثير :" يقول تعالى : وأي عباد الله أظلم ممن ذكر بآيات الله فأعرض عنها أي تناساها وأعرض عنها ولم يصغ لها ولا ألقى إليها بالاً (ونسى ما قدمت يداه) : أي من الأعمال السيئة والأفعال القبيحة (إنا جعلنا على قلوبهم) أي قلوب هؤلاء (أكنة) أي أغطية وغشاوة (أن يفقهوه) أي لئلا يفهموا هذا القرآن والبيان (وفي آذانهم وقراً) أي صمماً معنوياً عن الرشاد (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً)..[1]

[1] تفسير ابن كثير (٩٢/٣) .

السبب الرابع : الفسوق والفساد والعصيان

هناك علاقة قوية وتداخل بين هذه المصطلحات فيما بينها ، وكذلك هي داخلة في الظلم ، لأنه أعم منها جميعاً ، وإن كان الفسوق أيضاً عام ، لأنه في عمومه يعني الخروج عن حجر الشرع ، وبعض هذه الأمراض يقود إلى بعض ويؤثر فيه .

فأما الفسق : أصله خروج الشيء من الشيء ، قال الله عز وجل:" ففسق عن أمر ربه " [1] .

ويقال : فَسَقت الرُّطبة : إذا خرجت من قشرتها ، ومعناه : الخروج من الاستقامة والعصيان والترك لأمر الله ، والخروج عن طريق الحق .

وقيل : الفسوق : الخروج عن الدين ، **والفاسق شرعاً** : من فعل كبيرة أو أكثر من الصغائر [2] .

وأما الفساد : فهو نقيض الصلاح ، والفعل : فسَدَ ، يَفْسُدُ فساداً [3].

وفي المصباح المنير :" فسدَ الشيء (فُسُوداً) من باب قعد فهو (فاسد) والجمع (فَسْدَى) والاسم (الفساد) ، واعلم أن (الفساد)

---

[1] سورة الكهف من الآية (٥٠) .

[2] معجم ديوان الأدب (١٢٥/٢) .

[3] لسان العرب (٣٣٥/٣) .

للحيوان أسرع منه إلى النبات وإلى النبات أسرع منه إلى الجماد لأن الرطوبة في الحيوان أكثر من الرطوبة في النبات وقد يعرض للطبيعة عارض فتعجز الحرارة بسببه عن جرياتها في المجاري الطبيعية الدافعة لعوارض العفونة فتكون العفونة بالحيوان أشد تشبثاً منها بالنبات فيسرع إليه الفساد ، فهذه هي الحكمة التي قال الفقهاء لأجلها : ويقدم ما يتسارع إليه (الفساد) فيبدأ ببيع الحيوان ويتعدى بالهمزة والتضعيف ،و(المفسدة) خلاف المصلحة ، والجمع المفاسد " [1] .

وأما العصيان : لغة : العصيان اسم من عصى يعصي عصياً وعصياناً ومعصية ، وتدل مادته على أصلين متباينين ، يدل أحدهما على التجمع ، ويدل الآخر على الفرقة [2] .

قال الراغب :" وعصى عصياناً : إذا خرج عن الطاعة ، وأصله : أن يتمنع بعَصَاه ، ويقال : فيمن فارق الجماعة : فلان شق العصا " [3] .

وقال القرطبي : في قوله تعالى : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ ﴾ [4] :" أي لا يخالفونه في أمر من زيادة أو نقصان"[1](٨) .

---

[1] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٤٧٢/٢) .

[2] لسان العرب (٦٧/١٥) ، المصباح المنير (٤١٤/٢) ، معجم اللغة العربية المعاصرة (١٥١١/٢) .

[3] المفردات في غريب القرآن ص (٥٧٠)

[4] التحريم من الآية (٦) .

وقال ابن كثير : في قوله تعالى ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ [٢] " والعصيان : وهي جميع المعاصي " [٣].

وقال الطاهر بن عاشور :" العصيان : ظلم لحق الرب الواجب طاعته" [٤] .

** قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [٥]

بين في هذه الآية أنهم لما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، ونقلناهم من البأساء والضراء إلى الراحة والرخاء وأنواع الآلاء والنعماء ، والمقصود أنه تعالى عاملهم بتسليط المكاره والشدائد عليهم تارة فلم ينتفعوا به ، فنقلهم من تلك الحالة إلى ضدها وهو فتح أبواب الخيرات عليهم وتسهيل موجبات المسرات والسعادات لديهم فلم ينتفعوا به أيضاً ، وهذا كما يفعله الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى طلبا لصلاحه ، حتى إذا فرحوا بما

---

[١] تفسير القرطبي (١٩٦/١٨) .

[٢] سورة الحجرات من الآية (٧) .

[٣] تفسير ابن كثير (٢١١/٤) .

[٤] التحرير والتنوير (٥٦/٨) الطبعة التونسية .

[٥] سورة الأنعام الآية (٤٤) .

أوتوا من الخير والنعم ، لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا إقدام على اعتذار وتوبة ، فلا جرم أخذناهم بغتة .

واعلم أن قوله { فتحنا عليهم أبواب كل شيء } معناه: فتحنا عليهم أبواب كل شيء كان مغلقاً عنهم من الخير ، { حتى إذا فرحوا } أي حتى إذا ظنوا أن الذي نزل بهم من البأساء ما كان على سبيل الانتقام من الله، ولما فتح الله عليهم أبواب الخيرات ظنوا أن ذلك باستحقاقهم ، فعند ذلك ظهر أن قلوبهم قست وماتت ، في هذه الآية مكر بالقوم ورب الكعبة . قال أهل المعاني : وإنما أخذوا في حال الرخاء والراحة ليكون أشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية وقوله { فإذا هم مبلسون } أي آيسون من كل خير [1] .

قال ابن عطية : " عبر عن الترك بالنسيان إذا بلغ وجوه الترك الذي يكون معه نسيان وزوال المتروك عن الذهن، وقرأ ابن عامر فيما روي عنه فتَّحنا بتشديد التاء ، و"كل شيء " : معناه مما كان سد عليهم بالبأساء والضراء من النعم الدنيوية فهو عموم معناه خصوص ، و" فرحوا ": معناه بطروا وأشروا وأعجبوا وظنوا أن ذلك لا يبيد وأنه دال على رضى الله عنهم ، وهو استدراج من الله تعالى ، وقد روي عن بعض العلماء أنه قال: رحم الله عبداً تدبر هذه الآية :" حتى

---

[1] تفسير الرازي (١٨٦/١٢) .

إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة " ، وقال محمد بن النضر الحارثي : أمهل القوم عشرين سنة" [1].

عن عُقْبَةَ بن مُسْلِمٍ عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم قال :" إذا رَأَيْتَ اللَّهَ يعطي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا على مَعَاصِيهِ ما يُحِبُّ فَإِنَّمَا هو اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلاَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم { فلما نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عليهم أَبْوَابَ كل شيء حتى إذا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فإذا هُمْ مُبْلِسُونَ " [2] .

---

[1] المحرر الوجيز (٢/٢٩٢) .

[2] المسند (٤/١٤٥) ، وأخرجه الطبري " التفسير ١١/٣٦١" حديث :" ١٣٢٤٠" من طريق أبي الصلت ، وابن أبي حاتم " التفسير – سورة الأنعام (٤/١٢٩٠) من طريق ابن وهب كلاهما عن حرملة به ، وعند ابن أبي حاتم : عن حرملة وابن لهيعة .

وقال العراقي في تخريج الإحياء : رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن ، ورمز له السيوطي بالحسن (انظر / فيض القدير (١/٣٥٤) ، وقال الألباني في طريق حرملة : " وهذا إسناد قوي ..(السلسلة الصحيحة (١/٧٧٣) برقم (٤١٣) ، وحسن إسناده محقق تفسير ابن أبي حاتم " يراجع : الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٢/٢٤٠) ، وقال المناوي في " التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٩٩) وإسناده صحيح .

قال أبوالسعود :" وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور : إشعار بأن التذكر في الجملة غير خال عن النفع " [1]

أي : فلما أعرضوا عما أنذرهم ووعظهم به الرسل ، وتركوا الاهتداء به حتى نسوه أو جعلوه كالمنسي في عدم الاعتبار والاتعاظ به لإصرارهم على كفرهم ، وجمودهم على تقليد من قبلهم ، بلوناهم بالحسنات بما فتحنا عليهم أبواب كل شيء من أنواع سعة الرزق ورخاء العيش وصحة الأجسام والأمن على الأنفس والأموال ، فلم يتربوا بالنعم ، ولا شكروا المنعم ، بل أفادتهم النعم فرحاً وبطراً كما أفادتهم الشدائد قسوة وأشراً .

" حتى إذا فرحوا بما أوتوا " : منها ، وفسقوا عن أمر ربهم بطراً وغروراً بها .

" أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ": أي : أخذناهم بعذاب الاستئصال حال كوننا مباغتين لهم ، أو حال كونهم مبغوتين إذ فجأهم على غرة من غير سبق أمارة ولا إمهال للاستعداد أو للهرب فإذا هم مبلسون ، أي متحسرون يائسون من النجاة ، أو هالكون منقطعة حججهم ، والإبلاس في اللغة : اليأس والقنوط من الخير والرحمة ، والسكوت من الحزن أو الخوف والغم [2] .

---

[1] إرشاد العقل السليم (٣/١٣٣) .

[2] تفسير المنار (٧/٣٤٦) بتصرف .

فإن قيل : لم ذموا على النسيان وليس من فعلهم؟

فالجواب : فالجواب أن (نسوا) بمعنى تركوا ما ذكروا به ، عن ابن عباس وابن جريج وهو قول أبي وعلي وذلك لأن التارك للشيء إعراضاً عنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي كما يقال : تركه في النسي ، جواب آخر : وهو أنهم تعرضوا للنسيان فجاز الذم لذلك كما جاز الذم على التعرض لسخط الله عز وجل وعقابه [1] .

قال الماتريدي :" وقوله عز وجل :" فلما نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ" يحتمل : ابتداء ترك ، أي : تركوا الإجابة إلى ما دعوا وتركوا ما أمروا به ، ويحتمل : نسوا ما ذكروا به من الشدائد والبلايا . ." [2] .

والذي ذكروا به ونسوه هو " البأساء والضراء " وقد أخذهم الله بهما ليكون لهم منهما عبرة وعظة ، ولكنهم لم يعتبروا ولم يتعظوا ، ولكن الله سبحانه مع هذا لم يعجل لهم العقاب ، بل أخذهم بحلمه ، وقدم لهم الدواء الحلو السائغ ، بدلاً من هذا الدواء المر ، الذي لم يستسيغوه ، ولم ينتفعوا به ، فساق عليهم النعم ، وأغدق عليهم العطاء ، وفتح عليهم أبواب كل شيء مما تشتهي أنفسهم وتهوى أفئدتهم ، ومع ذلك ما نفعهم هذا الدواء ، ولا ذهب بما بهم به من داء ، بل زادهم هذا الرزق الكريم كفراً بالله ، ومحادة له ، وإنه إذ لم يكن في البأساء والضراء ، ولا في النعمة والرخاء، ما يصحح معتقد هؤلاء القوم ، ويقيمهم على

---

[1] تفسير القرطبي (٤٢٦/٦) .

[2] تأويلات أهل السنة (٨٥/٤) بتصرف .

طريقه ، كانت الثالثة وهي القاضية ، التي فيها الهلاك والدمار ، وهذا هو حكم الله فيهم ، وأخذه لهم . وإنه لأخذ أليم شديد ، إذ كانوا على حال من البهجة والمسرة ، وفي مقام من الأمل المزهر والرجاء العريض ، فتهب عليهم عاصفة جائحة ، تنتزعهم انتزاعاً على حين غفلة ، وهم على تلك المائدة الحافلة بشهي الطعام والشراب ، وإذا الأيدي الممدودة إلى المائدة تتجمد في طريقها إليها ، وإذا الشفاه المترشفة للكئوس المترعة تيبس عليها ، وإذا العيون السارحة بين ألوان الطعام والشراب تجمد حدقاتها ، وينطفىء بريقها ، ولا حجة لهم، ولا عذر بين يدي العقاب الذي وقع بهم "[1] .

[1] التفسير القرآني للقرآن (٤/١٨٠) بتصرف .

السبب الخامس : الكذب والافتراء

الكذب لغة : قال ابن فارس : " الكاف والذال والباء " أصل صحيح يدل على خلاف الصدق ، وتلخيصه: أنه لا يبلغ نهاية الكلام في الصدق، من ذلك الكذب خلاف الصدق " [1] .

وفي المعجم الوسيط :" (كذبَ) كِذْبَاً وكَذِبَاً وكذاباً :أخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه في الواقع وعليه أخبر عنه بما لم يكن فيه وأخطأ ، يقال كذب الظن والسمع والعين والرأي والشيء: لم يتحقق ما يبنى عنه وما يرجى منه ، يقال: كذب البرق والطمع وفلانًا أخبره بالكذب ، ويقال كذبه الحديث ويقال كذبت فلاناً نفسه حدثته بالأماني البعيدة ويقال كذب نفسه وكذبته عينه أرته ما لا حقيقة له فهو كاذب .

(تكاذبوا) كذب بعضهم على بعض . (تكذب) تكلف الكذب وفلاناً وعليه زعم أنه كاذب .

(الأكذوبة) الخبر الكاذب ، (التكاذيب) تكاذيب العرب أساطيرها وخرافاتها .

(الكاذبة) اسم يوضع موضع المصدر كالعاقبة والعافية والباقية والنفس . (الكذب) خلاف الصدق .

---

[1] معجم مقاييس اللغة (١٦٧/٥) .

(الكذبة) المرة من الكذب وكذبة أبريل أكذوبة يتعابث بها بعض الناس في أول هذا الشهر من كل سنة .

(الكذاب) كثير الكذب . (الكذوب) الكذاب وفي المثل (إن كنت كذوبا فكن ذكوراً) .. [1] .

الكذب اصطلاحاً :

قال الجرجاني :" كذب الخبر : عدم مطابقته للواقع ، وقيل : هو إخبار لا على ما عليه المخبر عنه " [2] .

وقال ابن حجر :" الكذب : هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمداً أم خطأ " [3] .

قال التّهانوي :" الكذب خلاف الصدق ، قيل : هو قبيح لعينه ، وقيل لما يتعلق به من المضار الخاصة ، لأن شيئاً من الأقوال والأفعال لا يحسن لذاته ولا يقبح لذاته " [4] .

الكذب قد يكون بالأفعال : يقول الشيخ الميداني :" وكما يكون الصدق والكذب في الأقوال يكونان في الأفعال ، فقد يفعل الإنسان

---

[1] المعجم الوسيط (٧٨١/٢) .

[2] التعريفات ص (١٨٣) .

[3] فتح الباري (٢٤٢/٦) .

[4] كشاف اصطلاحات الفنون (١٢٤٣/٣) .

فعلاً يوهم به حدوث شيء لم يحدث ، أو يعبر به عن وجود شيء غير موجود ، وذلك على سبيل المخادعة بالفعل مثلما تكون المخادعة بالقول، وربما يكون الكذب في الأفعال أشد خطراً وأقوى تأثيراً من الكذب في الأقوال ، ومن أمثلة ذلك ما حكاه الله لنا من أقوال وأفعال إخوة يوسف – عليه السلام– إذ جاءوا لأبيهم عشاء يبكون بكاء كاذباً وقالوا كذباً :"﴿ قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ [1]، وجاءوا على قميص يوسف بدم كذب فجمعوا بين كذب القول وكذب الفعل " [2] .

* قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [3] .

---

[1] سورة يوسف من الآية (١٧) .

[2] الأخلاق الإسلامية وأسسها (٥٢٩/١) .

[3] سورة الأعراف الآية (٥٣) .

عن مجاهد في قوله :" يوم يأتي تأويله " قال : جزاؤه ، " يقول الذين نسوه من قبل " أعرضوا عنه [1] .

قال ابن الجوزي :" قوله تعالى { هل ينظرون إلا تأويله } قال ابن عباس: تصديق ما وعدوا في القرآن { يوم يأتي تأويله } وهو يوم القيامة { يقول الذين نسوه } أي تركوه { من قبل } في الدنيا { قد جاءت رسل ربنا بالحق } أي بالبعث بعد الموت .

قوله تعالى { أو نرد } قال الزجاج: المعنى أو هل نرد ، وقوله {فنعمل} منصوب على جواب الفاء للاستفهام "[2].

ولعل السر في إيرادهم التمني في أسلوب الاستفهام ، هو تصوير هذا الأمل الذي يجول بنفوسهم مجسماً فيها تجسماً قوياً ، حتى ليلتمسونه بين ظهرانيهم [3] .

ولقد ختم الله تعالى الآية بتسجيل الخسارة عليهم ، وتخلي أوليائهم عنهم ، فقال سبحانه :"قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون " أي : هم قد غبنوا أنفسهم حظوظها ، وباعوا نعيم الآخرة الدائم بالخسيس من عرض الدنيا الزائل ، وخلاصة ذلك : أنهم قد خسروا

---

[1] الدر المنثور (٣/٤٧٠) .

[2] زاد المسير (٢/١٢٦) .

[3] من بلاغة القرآن ص (١٢٧) .

أنفسهم بتدنيسها بالشرك والمعاصي ، وعدم تزكيتها بالفضائل والأعمال الصالحة ، فخسروا حظوظهم فيها [1].

قال الفخر الرازي :" اعلم أنه تعالى لما بين إزاحة العلة بسبب إنزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة ، بين بعده حال من كذب فقال : { هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ } والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع .

فإن قيل : كيف يتوقعون وينتظرون مع جحدهم له وإنكارهم ؟

قلنا : لعل فيهم أقواماً تشككوا وتوقفوا ، فلهذا السبب انتظروه ، وأيضاً: إنهم وإن كانوا جاحدين إلا أنهم بمنزلة المنتظرين من حيث إن تلك الأحوال تأتيهم لا محالة ، وقوله : { إِلاَّ تَأْوِيلَهُ } قال الفراء الضمير في قوله : { تَأْوِيله } للكتاب يريد عاقبة ما وعدوا به على ألسنة الرسل من الثواب والعقاب ، والتأويل: مرجع الشيء ومصيره من قولهم آل الشيء يئول ، وقد احتج بهذه الآية من ذهب إلى قوله : { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ } (آل عمران : ٧) أي ما يعلم عاقبة الأمر فيه إلا الله ، وقوله : { يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ } يريد يوم القيامة ، قال الزجاج : قوله : { يَوْمٍ } نصب بقوله : { يقُولُ } وأما قوله : { يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ } معناه أنهم صاروا في الإعراض عنه بمنزلة من نسيه ، ويجوز أن يكون معنى { نَسُوهُ } أي تركوا العمل به والإيمان به وهذا كما ذكرنا في قوله

---

[1] تفسير المراغي (١٦٧/٨) .

: { كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هذا } (الأعراف : ٥١) ثم بين تعالى أن هؤلاء الذين نسوا يوم القيامة يقولون : { قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبّنَا بِالْحَقّ }

والمراد أنهم أقروا بأن الذي جاءت به الرسل من ثبوت الحشر ، والنشر، والبعث ، والقيامة ، والثواب ، والعقاب ، كل ذلك كان حقاً ، وإنما أقروا بحقيقة هذه الأشياء لأنهم شاهدوها وعاينوها ، وبين الله تعالى أنهم لما رأوا أنفسهم في العذاب قالوا : { هَل لَّنَا مِنَ شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الذي كُنَّا نَعْمَلُ } والمعنى : إنه لا طريق لنا إلى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الشديد إلا أحد هذين الأمرين ، وهو أن يشفع لنا شفيع فلأجل تلك الشفاعة

يزول هذا العذاب أو يردنا الله تعالى إلى الدنيا حتى نعمل غير ما كنا نعمل يعني نوحد الله تعالى بدلاً عن الكفر ونطيعه بدلاً عن المعصية .

فإن قيل : أقالوا هذا الكلام مع الرجاء أو مع اليأس ؟ وجوابنا عنه مثل ما ذكرناه في قوله : { أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء } (الأعراف : ٥٠) ثم بين تعالى بقوله : { قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ } أن الذين طلبوه ، لا يكون لأن ذلك المطلوب لو حصل لما حكم الله عليهم بأنهم قد خسروا أنفسهم.

ثم قال : { وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ } يريد أنهم لم ينتفعوا بالأصنام التي عبدوها في الدنيا ، ولم ينتفعوا بنصرة الأديان الباطلة التي بالغوا في نصرتها ، قال الجبائي : هذه الآية تدل على حكيمن :

الحكم الأول : قال : الآية تدل على أنهم كانوا في حال التكليف قادرين على الإيمان والتوبة فلذلك سألوا الرد ليؤمنوا ويتوبوا ، ولو كانوا في الدنيا غير قادرين كما يقوله المجبرة لم يكن لهم في الرد فائدة ولا جاز أن يسألوا ذلك .

الحكم الثاني : أن الآية تدل على بطلان قول المجبرة والذين يزعمون أن أهل الآخرة مكلفون لأنه لو كان كذلك لما سألوا الرد إلى حال وهم في الوقت على مثلها بل كانوا يتوبون ويؤمنون في الحال فبطل ما حكي عن النجار وطبقته من أن التكليف باق على أهل الآخرة"[1].

[1] تفسير الرازي (١٤/٢٥٤) .

السبب السادس : اللهو واللعب

يكاد اللهو واللعب يكونان ملازمين للنسيان ، وهما السبب في كثير من أمراض القلوب

تعريف اللهو واللعب

اللهو في اللغة : اللهو مصدر لها يلهو وهو مأخوذ من مادة" ل ه و " التي تدل على شغل عن شيء بشيء ، فاللهو كل شيء شغلك عن شيء [1] ، واللهو : ما شغلك عن هوى وطرب ، يقال : لها يلهو ،ويقال : لهيت عن الشيء أي : تركت ذكره وأضربت عنه ، وألهاه : أي شغله.

وأصل اللهو : الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة [2] .

قال ابن منظور : : اللهو : ما لهوت به ولعبت به ، واللهو : اللعب، يقال : لهوت بالشيء ألهو به لهواً وتلهيت به : إذا لعبت به وتشاغلت وغفلت به عن غيره .

وجاء في التفسير : أن لهو الحديث هنا الغناء ، لأنه يلهي عن ذكر الله عز وجل ، وكل لعب لهو .

---

[1] المقاييس (٥/٢١٣) .

[2] المصباح المنير (٢١٤) .

وقال قتادة : بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق [1] .

اللعب لغة : ضد الجد ، لعب يلعب لعباً ولعبا [2] ، واللعب : كل عمل لا يجدي عليه نفعاً .

اللهو اصطلاحاً : قال الجرجاني :" اللهو : الشيء الذي يتلذذ به الإنسان فيلهيه ثم ينقضي " [3] .

وقال المناوي :" اللهو : ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه ، وقال الطرطوشي : أصل اللهو : الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة"[4].

وقال الكفويّ :" كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني فهو لهو " [5] .

اللعب اصطلاحاً : قال الجرجاني :" اللعب : فعل الصبيان من غير أن يعقب فائدة " [6] .

---

[1] لسان العرب (٢٥٨/١٥) بتصرف .

[2] المرجع السابق (٤٠٣٩/٥) .

[3] التعريفات ص "٢٠٤" .

[4] المفردات – للراغب – (٤٥٥) .

[5] الكليات (٧٧٨) .

[6] التعريفات (٢٠٢) .

وقال الراغب :" يقال : لعب فلان إذا فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً " [1] ، ومن ثم يكون اللعب : هو أن يفعل الإنسان فعلاً لا يقصد به مقصداً صحيحاً " من جهة الشرع " .

ويستنبط من جملة أقوالهم : أن اللهو واللعب : أن ينشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه ، ويمارس من الأفعال ما لا فائدة فيه مما لا يقصد به مقصد صحيح شرعاً ، ويكون ذلك بالإعراض عن الحق والإقبال على الباطل .

الفرق بين اللهو واللعب : قال الكفوي : اللهو فيه صرف للهمم بما لا يحسن أن يصرف به ، واللعب : فيه طلب للفرح (أو اللذة) بما لا يحسن أن يطلب به .

وقيل : اللهو الاستمتاع بلذات الدنيا (من غناء ونحوه) ، واللعب : ترك ما ينفع إلى ما لا ينفع .

وقيل : اللهو : الإعراض عن الحق ، واللعب : الإقبال على الباطل[2].

** قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [1] .

---

[1] المفردات (٤٥٠) .

[2] الكليات – الكفوي– (٧٩٩) بتصرف .

عن ابن عباس في قوله : " ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ الآية ، قال : " وذلك أنهم كانوا إذا دعوا إلى الإيمان سخروا ممن دعاهم إليه وهزؤوا به ، اغتراراً بالله " [٢] .

قال أبوحيان :" فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ " : هذا إخبار من الله عما يفعل بهم ، قال ابن عباس وجماعة يتركهم في العذاب كما تركوا النظر للقاء هذا اليوم ، وقال قتادة : { نُسُواْ } من الخير ولم ينسوا من الشر ، وقال الزمخشري : يفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به {كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا } كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتمّوا به ، وقال الحسن والسدّي أيضاً والأكثرون: نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم انتهى ، وإن قدر النسيان بمعنى الذهول من الكفرة فهو في جهة الله بتسمية العقوبة باسم الذنب { وَمَا كَانُواْ } معطوف على ما نسوا وما فيهما مصدرية ويظهر أنّ الكاف في { كَمَا } للتعليل " [٣] .

وقال الشنقيطي :" أما النسيان هنا ، فهو بمعنى الترك ، وقال : العرب تطلق النسيان وتريد به الترك ولو عمداً ، ومنه قوله

---

[١] سورة الأعراف الآية (٥١) .

[٢] تفسير الطبري (١٢/٤٧٥) .

[٣] البحر المحيط (٤/٣٠٨) .

تعالى : { قَالَ كَذَالِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَالِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى }[1] . فالمراد من هذه الآية الترك قصداً .

وكقوله : { فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هذا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ }[2] .

وقوله : { وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ }[3] . انتهى.

أما النسيان الذي هو ضد الذكر ، وهو الترك عن غير قصد ، فليس داخلاً هنا ، لأن هذه الأمة قد أعفيت من المؤاخذة عليه "[4] .

وقال الشيخ محمد عبده :" أما اتخاذهم دينهم لعباً ولهواً ففيه وجوه ، المتبادر منها أن أعمال دينهم التي يعملونها لما لم تكن مزكية للأنفس ، ولا مهذبة للأخلاق ، ولا واقعة على الوجه الذي يرضي الرحمن ويعد المرء للقائه في دار الكرامة والرضوان ، ولا مصلحة لشئون الاجتماع والعمران ، كانت إما صرفاً للوقت فيما لا فائدة فيه وهو معنى اللعب ، وإما شاغلة عن بعض الهموم والشئون وهو اللهو ، ويظهر ذلك في أعمال الدين الاجتماعية كالمواسم والأعياد ، وقد روي القول به عن ابن عباس ﷺ قال : جعل الله لكل قوم عيداً يعظمونه ،

---

[1] سورة طه الآية (١٢٦) .

[2] سورة الأعراف الآية (٥١) .

[3] سورة الحشر من الآية (١٩) .

[4] أضواء البيان (٨/٥٥) بتصرف .

ويصلون فيه ، ويعمرونه بذكر الله تعالى ، ثم إن الناس أكثرهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهواً ولعباً ، غير المسلمين ، فإنهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله تعالى .

وهو يريد أن هذا مما تدل عليه الآية لا أنه كل المراد منها ، وهذا أحد وجوه خمسة ذكرها الرازي في الآية وجعله الرابع ، وأما الوجوه الأخرى :

فأولها : أنهم اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا إليه – وهو دين الإسلام– لعباً ولهواً ، حيث سخروا به واستهزءوا به .

ثانيها : اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الأصنام ديناً لهم .

ثالثها : أن الكفار كانوا يحكمون في دين الله بمجرد التشهي والتمني مثل تحريم السوائب والبحائر ، وما كانوا يحتاطون في أمر الدين البتة ، ويكتفون فيه بمجرد التقليد ، فعبر الله عن ذلك بأنهم اتخذوا دينهم لعباً ولهواً .

رابعها : وهو الأقرب أن المحقق في الدين هو الذي ينصر الدين لأجل أنه أقام الدليل على أنه حق وصدق وصواب ، فأما الذين ينصرونه ليتوسلوا به إلى أخذ المناصب والرياسة وغلبة الخصم وجمع الأموال فهم الذين نصروا الدين للدنيا ، وقد حكم الله على الدنيا في سائر الآيات بأنها لعب ولهو ، فالمراد من قوله :" ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ " هو الإشارة إلى من يتوسل بدينه إلى دنياه ، وإذا تأملت في حال

أكثر الخلق وجدتهم موصوفين بهذه الصفة وداخلين تحت هذه الحالة ، والله أعلم ....

وأما معنى : وغرتهم الحياة الدنيا فهو أنها خدعتهم وأغفلتهم عن أنفسهم وما هي مستعدة له من الكمال ، وعن كون البعث حقاً ، والعدل المحض من المحال ، فاشتغلوا بلذاتها الحقيرة الفانية المشوبة بالمنغصات عما جاءهم من الحق

مؤيداً بالحجج القيمة والآيات البينات ، فاستبدلوا الخوض فيها ، بما كان يجب من فقهها وتدبرها " [1] .

قال العلامة الرازي : " وفي تفسير هذا النسيان قولان :

القول الأول : أن النسيان هو الترك . والمعنى : نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ، وهذا قول الحسن ومجاهد والسدي والأكثرين .

والقول الثاني : أن معنى ننساهم كما نسوا أي نعاملهم معاملة من نسي نتركهم في النار كما فعلوا هم في الإعراض بآياتنا ، وبالجملة فسمى الله جزاء نسيانهم بالنسيان كما في قوله : { وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا } (الشورى : ٤٠) والمراد من هذا النسيان أنه لا يجيب دعاءهم ولا يرحمهم ، ثم بين تعالى أن كل هذه التشديدات إنما كان لأنهم كانوا بآياتنا يجحدون ، وهذه الآية لطيفة عجيبة : وذلك لأنه تعالى وصفهم

---

[1] تفسير المنار (٤٣٢/٧) بتصرف .

بكونهم كانوا كَافرين ثم بين من حالهم أنهم اتخذوا دينهم لهواً أولاً ، ثم لعباً ثانياً ، ثم غرتهم الحياة الدنيا ثالثاً ، ثم صار عاقبة هذه الأحوال والدرجات أنهم جحدوا بآيات الله ، وذلك يدل على أن حب الدنيا مبدأ كل آفة ، وقد يؤدي حب الدنيا إلى الكفر والضلال" [1].

قال أبوزهرة :" فاليوم ننساهم " : النسيان على الله تعالى لا يجوز ، لأنه – سبحانه– لا يغفل عن شيء قَلَّ أو جَلَّ ، وكل شيء عنده في كتاب أحصاه لا يتخلف عن علمه شيء ، وأريد بالنسيان لازمه ، وهو الترك ، بل بعض علماء اللغة يقول : إن الأصل في معنى النسيان هو الترك ، والمعنى في قوله تعالى :" فاليوم " الذي تجزى فيه كل نفس بما كسبت نتركهم في جهنم يريدون الماء فلا يجدونه إلا في حميم ، ويطلبون الطعام فلا يذوقون إلا طعام الزقوم ، وقد ذكر سبحانه وتعالى أن ذلك في مقابل أمرين أو عقاب لأمرين :

أولهما : أنهم نسوا لقاء يومهم هذا مع كثرة النذر ، ومع إرسال الرسل ، ومع أنه يوجبه منطق الحياة ، وأن الله تعالى لم يخلق الإنسان سدى ، يأكل ويلعب كالحيوان ، إنما هو مخلوق مدرك ، وأن الدنيا فيها الخير والشر ، وأنه لابد للخير من أن ينتصر ، ولابد للشر من أن ينهزم ، وأنه يتناسب مع علو مكانة الإنسان في هذه الأرض .

ثانيهما : " ما كانوا بآياتنا يجحدون " : "ما" هنا على تقدير الكاف ، وهي معطوفة على قوله تعالى :" كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هذا" أي

---

[1] تفسير الرازي (١٤/٧٧) بتصرف .

أن الله تعالى نسيهم ، كما نسوا لقاء يومهم هذا ، وكما كانوا بآياتنا يجحدون ، وجحود الآيات : إنكار ما تدل عليه من دلائل التوحيد ، ومعاندتهم لله تعالى ، وتكذيبهم لأنبيائه ، فكان نسيان الله تعالى لهم وتركهم في جهنم يصلونها ، من مقابل نسيانهم ، وجزاء لجحودهم ، والله على كل شيء قدير "[1] .

وفي تفسير الماتريدي :" لا يجوز أن يضاف النسيان إلى الله تعالى بحال ، ولكن يجوز أن يقال : يجزيهم جزاء نسيانهم ، فسمي الثاني باسم الأول ، وإن لم يكن الثاني نسياناً ، نحو قوله تعالى :" وجزاء سيئة سيئة مثلها " والثانية ليست بسيئة ، ولكن جزاء السيئة ، لكنه سماها باسم السيئة ، لما هي جزاء لها ، فعلى ذلك هذا ، فعلى ذلك سمي الثاني نسياناً ، لأنه جزاء النسيان ، وإن كان الله لا يجوز أن ينسى ، أو يسهو عن شيء ، أو يغفل .

ولان في النسيان تركاً ، وكل منسي متروك ، فيتركهم في العذاب والهوان كما تركوا هم أمر الله ونهيه في الدنيا ،

قال الحسن : إن الله لا ينسى شيئاً ولا يسهو ، ولكن الكفرة يكونون على الكرامة والرحمة والمنزلة كالشيء المنسي ، وعن الهوان والعذاب لا "[2] .

---

[1] زهرة التفاسير (٦/٢٨٥٦) .

[2] تفسير الماتريدي " تأويلات أهل السنة " (٤/٤٣٦) .

وفي فتح البيان :" فاليوم ننساهم " : أي نتركهم في النار ، وقال مجاهد : نؤخرهم جياعاً عطاشاً ، والمعنى : نفعل بهم فعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار تركاً كلياً ، والفاء فصيحة ، وكثر مثل هذه الاستعارة في القرآن لأن تعليم المعاني التي في عالم الغيب لا يمكن أن يعبر عنها إلا بما يماثلها من عالم الشهادة .

" كما نسوا لقاء يومهم هذا " : أي كما تركوا العمل للقاء هذا اليوم قاله ابن عباس ومجاهد والسدي ،

وقال ابن عباس أيضاً : نسيهم من الخير ولم ينسهم من الشر ، وسمي جزاء نسيانهم بالنسيان مجازاً لأن الله تعالى لا ينسى شيئاً " [1] .

قال ابن كثير : "(فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) أي يعاملهم معاملة من نسيهم لأنه تعالى لا يشذ عن عمله شيء ولا ينساه كما قال تعالى (في كتاب لا يضل ربي ولاينسى)[2] وإنما قال تعالى هذا من باب المقابلة كقوله (نسوا الله فنسيهم)[3] وقال (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)[4] وقال تعالى (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) [5] ، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (

---

[1] فتح البيان في مقاصد القرآن (٤/٣٧٠) .

[2] سورة طه من الآية (٥٢) .

[3] سورة التوبة من الآية (٦٧) .

[4] سورة طه من الآية (١٢٦) .

[5] سورة الجاثية من الآية (٣٤) .

فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) قال : نسيهم الله من الخير ولم ينسهم من الشر ، وقال علي بن أبي طلحة عن أبي عباس قال: نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا ، وقال مجاهد: نتركهم في النار، وقال السدي : نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا وفي الصحيح أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أزوجك ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول الله تعالى فاليوم أنساك كما نسيتني "[1] .

قال صاحب الظلال :" وهكذا تتوالى صفحات المشهد جيئة وذهوباً .. لمحة في الآخرة ولمحة في الدنيا ، لمحة مع المعذبين في النار ، المنسيين كما نسوا لقاء يومهم هذا وكما جحدوا بآيات الله ، وقد جاءهم بها كتاب مفصل مبين ، فصله الله سبحانه على علم ، فتركوه واتبعوا الأهواء والأوهام والظنون .. ولمحة معهم وهم بعد في الدنيا ، ينتظرون مآل هذا الكتاب وعاقبة ما جاءهم فيه من النذير ، وهم يحذرون أن يجيئهم هذا المآل ، فالمآل هو ما يرون في هذا المشهد من واقع الحال ، إنها خفقات عجيبة في صفحات المشهد المعروض لا يجليها هكذا إلا هذا الكتاب العجيب ، وهكذا ينتهي ذلك الاستعراض الكبير ويجيء التعقيب عليه متناسقاً مع الابتداء ، تذكيراً بهذا اليوم ومشاهده ، وتحذيراً من التكذيب بآيات الله ورسله ، ومن انتظار تأويل هذا الكتاب فهذا هو تأويله ، حيث لا فسحة لتوبة ، ولا شفاعة في الشدة ، ولا رجعة للعمل مرة أخرى .

---

[1] تفسير ابن كثير (٣/٤٢٤) بتصرف..

نعم .. هكذا ينتهي الاستعراض العجيب ، فنفيق منه كما نفيق من مشهد أخاذ كنا نراه ، ونعود منه إلى هذه الدنيا

التي فيها نحن ، وقد قطعنا رحلة طويلة طويلة في الذهاب والمجيء .. وهكذا يرتاد القرآن الكريم بقلوب البشر هذه الآماد والأكوان والأزمان ، يريها ما كان وما هو كائن وما سيكون .. كله في لمحات لعلها تتذكر ، ولعلها تسمع [1]

* وقد بين القرآن الكريم في آيات أخرى ارتباط هذه الأمور وتلازمها وعاقبتها

منها قوله تعالى : ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [2]

وهذه الآية أيضاً واردة في سياق الحديث عن النسيان وما ارتبط به من الأسباب والآثار ، لأن الآيات التي تقدمت عليها مباشرة ورد فيها التحذير من الشيطان وبيان أنه يتسبب في النسيان ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا

---

[1] في ظلال القرآن (١٢٩٤/٣) بتصرف .

[2] سورة الأنعام الآية (٧٠) .

رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [2] .

قال الإمام الطبراني :" قوله تعالى : " نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ " أي : تركوا ما أمر الله وأعرضوا عنه حتى صار كالمنسي عندهم بإعراضهم عنه ، فتركهم الله من رحمته حتى صاروا كالمنسيين عنده ، وإن كان النسيان مما لا يجوز على الله إلا أنه قال :" فنسيهم " لمزاوجة الكلام ، كما في

---

[1] سورة الأنعام الآيتان (٦٨-٦٩) .

[2] سورة التوبة الآيتان (٦٥-٦٧) .

قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ ﴾ [1] ، قال تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [2] ،وقوله تعالى : " إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ " أي : هم المتمردون في الكفر والفسق وفي كل شيء ، وإن كان النفاق أعظم من الفسق " [3] .

قال عبدالكريم الخطيب :" إنهم نسوا الله ، فنسيهم الله ، وتركهم وما هم فيه من ضلال .. فلو أنهم ذكروا الله لوجدوا في قلوبهم خشية له ، ولكان لهم في خشيتهم لله ما يمسك بهم عن هذا الضلال الذي يهلكون به أنفسهم، ونسيان الله لهم ، هو تركهم لأنفسهم ، وحرمانهم من توفيقه " [4] .

---

[1] سورة البقرة من الآية (١٩٤) .

[2] سورة الشورى من الآية (٤٠) .

[3] تفسير القرآن العظيم – للإمام الطبراني– (٤٢١/٢) .

[4] التفسير القرآني للقرآن (٨٣٨/٥) .

السبب السابع : غرور الحياة الدنيا

إن أغلب الشهوات والشبهات وارتكاب المعاصي ، إنما يكون بسبب حب الحياة الدنيا حباً يسيطر على القلب حتى يعميه ، ويجعله لاهياً غافلاً عما خلق من أجله .

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] . هذا سياق مطول بين الله تعالى فيه تسبب غرور الحياة في الكثير من الأمراض ، فقد بدأ السياق بالحديث عن الكفر الذي هو الصفة الأساس لمن اتصف بهذه الأمراض ، ثم ذكر من صفات الكافرين : الاستكبار ، الإجرام ، والمجادلة بالباطل مع سوء الظن ، والاستهزاء ، ونسيان اليوم الآخر وما يحصل فيه من العقاب الأليم للذين كفروا ، ثم قال تعالى : "ذَٰلِكُم

---

[1] سورة الجاثية (٣١-٣٥) .

بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا " ، فجعل سبحانه وتعالى اتخاذ آيات الله هزواً وغرور الحياة الدنيا سبباً لكل هذه البلايا .

– عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله { وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا } قال : تركتم ذكري وطاعتني ، فكذا أترككم { كما نسيتم لقاء يومكم هذا } قال : تركتم ذكري وطاعتي فكذا تركتم في النار[1] .

فالنسيان في هذه الآيات معناه : الترك في النار ، أما النسيان بمعنى زوال العلم : فهو مستحيل على الله ، كما قال تعالى : { وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا } ، وقال : { قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّى وَلاَ يَنسَى}[2] .

قال الرازي :" وفي تفسير هذا النسيان وجهان الأول : نتركم في العذاب كما تركتم الطاعة التي هي الزاد ليوم المعاد ، الثاني : نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به ، كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تلتفتوا إليه بل جعلتموه كالشيء الذي يطرح نسياً منسياً ، فجمع الله تعالى عليهم من وجوه العذاب الشديد ثلاثة أشياء:

فأولها : قطع رحمة الله تعالى عنهم بالكلية .

وثانيها : أنه يصير مأواهم النار .

---

[1] الدر المنثور (٤٣١/٧) .

[2] أضواء البيان (٣٩٥/٢) .

وثالثها : الاستغراق في حب الدنيا والإعراض بالكلية عن الآخرة ، وهو المراد من قوله تعالى : { وَغَرَّتْكُمُ الحياة الدُّنْيَا } [1].

قال البغوي :" (وقيل اليوم ننساكم) نترككم في النار (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) تركتم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلك بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا)

حتى قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون منها) قرأ حمزة والكسائي: بفتح الياء وضم الراء ، وقرأ الآخرون: بضم الياء وفتح الراء (ولا هم يستعتبون) لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذراً ولا توبة " [2] .

قال العز بن عبدالسلام :" " ننساكم" نترككم في النار كما تركتم أمري ، أو نترككم من الخير كما تركتم العمل ، أو نترككم من الرحمة كما تركتم الطاعة " [3] .

وقال أبوالسعود : " (وقيل اليوم ننساكم) نترككم في العذاب ترك المنسي ، كما نسيتم في الدنيا لقاء يومكم هذا ، أي كما تركتم عدته ولم تبالوا به ، وإضافة اللقاء إلى اليوم إضافة المصدر إلى ظرفه ، "

---

[1] تفسير الرازي (٦٨٢/٢٧) .

[2] تفسير البغوي (١٦٢/٤) .

[3] تفسير العز بن عبدالسلام (١٨٠/٣) .

ومأواكم النار وما لكم من ناصرين" : أي ما لأحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها " [1] .

وقال الألوسي :" (وقيل اليوم ننساكم) : نترككم في العذاب من باب إطلاق السبب على المسبب، لأن من نسي شيئاً تركه ، أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالي به على أن ثم استعارة تمثيلية وجوز أن يكون استعارة مكنية، (كما نسيتم) في الدنيا (لقاء يومكم هذا) أي كما تركتم عدته وهي التقوى والإيمان به ، أو كما لم تبالوا أنتم بلقائه ولم تخطروه ببال الذي يطرح نسياً منسياً ، وجوز أن يكون التعبير بنسيانه لأن علمه مركوز في فطرتهم ، أو لتمكنهم منه بظهور دلائله ، ففي النسيان الأول مشاكلة ، وإضافة (لقاء) إلى يوم من إضافة المصدر إلى ظرفه فهي على معنى في المفعول مقدر أي لقاءكم الله تعالى وجزاءه سبحانه في يومكم هذا ، وقال العلامة التفتازاني : (لقاء يومكم) كمكر الليل من باب المجاز الحكمي فلذا أجرى المضاف إليه مجرى المفعول به وإنما لم يجعل من إضافة المصدر إلى المفعول به حقيقة ، لأن التوبيخ ليس على نسيان لقاء اليوم نفسه بل نسيان ما فيه

من الجزاء "[2].

---

[1] تفسير أبي السعود (٧٥/٨) .

[2] روح المعاني (٢/٢٦) .

وقال ابن الجوزي :" { وقيل اليوم ننساكم } أي نترككم في النار { كما نسيتم لقاء يومكم هذا } أي كما تركتم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم " [1] .

وقال الشوكاني : (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي نترككم في النار كما تركتم العمل لهذا اليوم ، وأضاف اللقاء إلى اليوم توسعاً لأنه أضاف إلى الشيء ما هو واقع فيه (ومأواكم النار) أي مسكنكم ومستقركم الذين تأوون إليه (وما لكم من ناصرين) ينصرونكم فيمنعون عنكم العذاب " [2] .

وقال النحاس :" روى معمر عن قتادة قال: فاليوم نترككم كما تركتم لقاء يومكم هذا ،

قال أبو جعفر : المعنى على هذا : فاليوم نترككم في النار كما تركتم العمل ليومكم هذا " [3] .

وقال الطاهر بن عاشور : " .. " فاليوم ننساكم " : أي جزاء نسيانكم هذا اليوم ، إي : إعراضكم عن الإيمان به " [4] .

---

[1] زاد المسير (٣٦٦/٧) .

[2] فتح القدير (١١/٥) .

[3] معاني القرآن (٤٣٤/٦) .

[4] التحرير والتنوير (٣٧٤/٢٥) .

السبب الثامن : الضلال

هناك علاقة بين الضلال والنسيان من حيث المعنى اللغوي ، حيث يطلق الضلال ويراد به النسيان ، ويراد به كذلك الغفلة والخطأ ، وذلك في لغة العرب راجع إلى أصل الضلال .

فالضلال في كتب اللغة :

قال ابن منظور : وأصل الضلال الغيبوبة ، وضل الناسي إذا غاب عنه حفظه ، قال : والضلال : النسيان ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ مِّمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [1] أي تغيب عن حفظها أو يغيب حفظها عنها [2] .

قال ابن فارس :" (ضل) الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه ، يقال ضل يضل ويضل لغتان ، وكل جائر عن القصد ضال ، والضلال والضلالة بمعنى ، ورجل ضليل ومضلل إذا كان صاحب ضلال وباطل " [3] .

وفي جمهرة اللغة :" ضل يضل ضلالاً والضلال ضد الهدى ، وضل في الأمر ضلالاً إذا لم يهتد له ، وضل في الأرض ضلالاً إذا لم يهتد

---

[1] سورة البقرة من الآية (٢٨٢) .

[2] لسان العرب – مادة " ضلل" .

[3] مقاييس اللغة (٣/٣٥٦) .

للسبيل، ويقال : فلان ضل بن ضل إذا كان منهمكاً في الضلال ، ومثل من أمثالهم : يا ضل ما تجري به العصا ، والعصا : فرس ، ويقال : فعل ذاك ضلة أي في ضلال " [1] .

وقال الزمخشري :" ضل عن الطريق وعن القصد يضل ويضل ، وضل الطريق وأضله غيره وضلله وضللت، وضللت بعيري: إذا كان معقولاً فلم يهتد لمكانه ، وأضللته إذا كان مطلقاً فمر ولم تدر أين أخذ

وأضللت خاتمي ، وأرض مضلة ومضلة

ومن المجاز ضل في الدين وهو ضال وضليل وصاحب ضلال وضلالة ومضلل

وقد ضللته نسبته إلى الضلال وواقع في أضاليل وأباطيل وقد تمادى في أضاليل الهوى وفعل ذلك ضلة

وفلان لضلة لغية ، وذهب دمه ضلة هدراً ، وضل عني كذا ضاع ، وضللته نسيته " [2] .

قال الراغب الأصفهاني :" الضلال العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية ، قال تعالى : { فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه

---

[1] جمهرة اللغة (١٤٧/١) .

[2] أساس البلاغة (٥٨٥/١) .

ومن ضل فإنما يضل عليها } [1] ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً ، يسيراً كان أو كثيراً ، فإن الطريق المستقيم الذي هو المرتضى صعب جداً ، قال النبي صلى الله عليه وسلم " استقيموا ولن تحصوا" [2] .

وإذا كان الضلال ترك الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً ، قليلاً كان أو كثيراً ، صح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما ، ولذلك نسب الضلال إلى الأنبياء وإلى الكفار ، وإن كان بين الضلالين بون بعيد، ألا ترى أنه قال في النبي صلى الله عليه وسلم { ووجدك ضالا فهدى }[3] أي غير مهتد لما سيق إليك من النبوة . وقال في يعقوب { إنك لفي ضلالك القديم }[4] قال أولاده : { إن أبانا لفي ضلال مبين } [5](3) إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه وكذلك { قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين }[6] وقال عن موسى عليه السلام { وأنا من

---

[1] سورة الإسراء من الآية (١٥) .

[2] الحديث عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ :" استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن " أخرجه مالك في الموطأ (٣٤/١) ، وأحمد في المسند (٢٨٠/٥) ، والحاكم (١٣٠/١) ، والدارمي من طرق صحاح (١٦٨/١) .

[3] سورة الضحى الآية (٧) .

[4] سورة يوسف من الآية (٩٥) .

[5] سورة يوسف من الآية (٨) .

[6] سورة يوسف من الآية (٣٠) .

الضالين }[1] تنبيه أن ذلك منه سهو ، وقوله { أن تضل إحداهما } [2] أي: تنسى وذلك من النسيان الموضوع عن الإنسان .

والضلال من وجه آخر ضربان : ضلال في العلوم النظرية ، كالضلال في معرفة الله ووحدانيته ومعرفة النبوة ونحوهما المشار إليهما بقوله { ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً } [3] **وضلال في العلوم العملية** : كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات ، والضلال البعيد إشارة إلى ما هو كفر كقوله كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً } [4] وكقوله { في العذاب والضلال على ما تقدم من قوله { ومن يكفر بالله}[5] وقوله { إن الذين البعيد [6]} أي في عقوبة الضلال البعيد ، وعلى ذلك قوله { إن أنتم إلا في ضلال كبير } [7]- { قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل } [8]وقوله { أئذا ضللنا في الأرض } [9] كناية عن الموت

---

[1] سورة الشعراء من الآية (٢٠) .

[2] سورة البقرة من الآية (٢٨٢) .

[3] سورة النساء الآية (١٣٦) .

[4] سورة النساء الآية (١٦٧).

[5] سورة النساء من الآية (١٣٦) .

[6] سورة سبأ من الآية (٨) .

[7] سورة الملك من الآية (٩) .

[8] سورة المائدة من الآية (٧٧) .

[9] سورة السجدة من الآية (١٠) .

واستحالة البدن ، وقوله { ولا الضالين}[1] فقد قيل عني بالضالين النصارى . وقوله { في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى }[2] أي لا يضل عن ربي ولا يضل ربي عنه أي لا يغفله ، وقوله { كيدهم في تضليل } أي في باطل وإضلال لأنفسهم.

والإضلال ضربان ، أحدهما : أن يكون سببه الضلال وذلك على وجهين : إما بأن يضل عنك الشيء كقولك أضللت البعير أي ضل عني ، وإما أن تحكم بضلاله ، والضلال في هذين سبب الإضلال .

والضرب الثاني : أن يكون الإضلال سببا للضلال وهو أن يزين للإنسان الباطل ليضل كقوله : { لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم }[3] أي يتحرون أفعالاً يقصدون بها أن تضل فلا يحصل من فعلهم ذلك إلا ما فيه ضلال أنفسهم ، وقال عن الشيطان { ولأضلنهم ولأمنينهم }[4] وقال في الشيطان : { ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً }[5] .

---

[1] سورة الفاتحة من الآية (٧) .

[2] سورة طه من الآية (٥٢).

[3] سورة النساء من الآية (١١٣) .

[4] سورة النساء من الآية (١١٩) .

[5] سورة يس من الآية (٦٢) .

{ ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً } [1]، { ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله }[2] .

وإضلال الله تعالى للإنسان على أحد وجهين :

أحدهما : أن يكون سببه الضلال ، وهو أن يضل الإنسان فيحكم الله عليه بذلك في الدنيا ويعدل به عن طريق الجنة إلى النار في الآخرة ، وذلك إضلال هو حق وعدل ، فالحكم على الضال بضلاله والعدول به عن طريق الجنة إلى النار عدل وحق .

والثاني من إضلال الله : هو أن الله تعالى وضع جبلة الإنسان على هيئة إذا راعى طريقاً محموداً كان أو مذموماً ، ألفه واستطابه ولزمه وتعذر صرفه وانصرافه عنه ويصير ذلك كالطبع الذي يأبى على الناقل ، ولذلك قيل العادة طبع ثان . وهذه القوة في الإنسان فعل إلهي ، وإذا كان كذلك وقد ذكر في غير هذا الموضع أن كل شيء يكون سبباً في وقوع فعل صح نسبة ذلك الفعل إليه فصح أن ينسب ضلال العبد إلى الله من هذا الوجه فيقال أضله الله لا على الوجه الذي يتصوره الجهلة ولما قلناه جعل الإضلال المنسوب إلى نفسه للكافر والفاسق دون المؤمن بل نفى عن نفسه إضلال المؤمن فقال : { وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم } [3]- { فلن يضل أعمالهم سيهديهم }[1] ، وقال في الكافر والفاسق {

---

[1] سورة النساء من الآية (٦٠) .

[2] سورة ص من الآية (٢٦) .

[3] سورة التوبة من الآية (١١٥) .

فتعساً لهم وأضل أعمالهم }[2]- { وما يضل به إلا الفاسقين }[3]- { كذلك يضل الله الكافرين }[4]- { ويضل الله الظالمين }[5]، وعلى هذا النحو تقليب الأفئدة في قوله { ونقلب أفئدتهم }[6] والختم على القلب في قوله { ختم الله على قلوبهم } [7](١٠) ، وزيادة المرض في قوله : { في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً } [8]، [9].

** ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ [10]

---

[1] سورة محمد(٤-٥) .

[2] سورة محمد من الآية (٨) .

[3] سورة البقرة من الآية (٢٦) .

[4] سورة غافر من الآية (٧٤) .

[5] سورة إبراهيم من الآية (٢٧) .

[6] سورة الأنعام من الآية (١١٠).

[7] سورة البقرة من الآية (٧) .

[8] سورة البقرة من الآية (١٠) .

[9] المفردات في غريب القرآن ص (٥١١) .

[10] سورة الزمر الآية (٨) .

قال القصاب :" تقريع لمن يهمل الدعاء في الرخاء ، ويفزع إليه في الشدة ، وليس ذلك من أخلاق المؤمنين ، إذ من أخلاقهم إكثار الدعاء في الرخاء عُدة للشدة ، واستغناماً لشفاعة الملائكة – إلى ربهم – في إجابته ، فقد روي أن النبي ﷺ قال لابن عباس :" تعرف إلى الله في الرخاء ، يعرفك في الشدة " [1، 2].

فهناك آيات كثيرة تبين أن ما تقلده المشركون من الشرك ، إنما هو أمر عارض وشيء طارىء يشغل أذهانهم ومخيلاتهم في وقت الراحة والرخاء ، إما إذا نزل بهم ما لا يطاق من اللأواء وشدة الفزع ، فإنهم يجأرون بالدعاء إلى الله وحده ، مخلصين له الدين ، وضل عنهم كل ما كانوا يدعونه من الأصنام والأوثان ، لأن هذا دعاء القلب والفطرة ، لا دعاء اللسان والتقليد الأعمى .... فالكافر عندما ينزل به البلاء والشدة ، وتلحقه المضرة إما في نفسه أو ماله أو ولده فإنه يلجأ إلى الله عز وجل منيباً إليه ومستغيثاً به – وحده – ليكشف عنه ما نزل به وأصابه ، فإذا

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٦٦/١) برقم (٩٩٣) ، وأحمد في المسند (٣٠٧/١) برقم (٢٨٠٤) ، وقال العجلوني :" أورده الضياء في المختارة وهو حسن وله شاهد رواه عبد بن حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه بلفظ :" يا ابن عباس احفظ الله يحفظك واحفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة " وذكره مطولاً بسند ضعيف ، ورواه أحمد والطبراني وغيرهما بسند أصح رجالاً وأقوى . " انظر: كشف الخفا (٣٦٦/١) برقم (٩٩٣).

[2] النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (١١/٤) .

ما تفضل الله عليه بالنعم والعطاء والرخاء نسي – ربه– الذي أناب إليه وقت الشدة ونسي حالته التي كان عليها في حال الشدة فجعل لله الشركاء والأنداد فيعبدهم مع الله –عز وجل – أو يخصهم دونه بالعبادة ليضل نفسه وغيره عن دين الحق والتوحيد الذي هو الطريق الموصل إلى الله سبحانه [1].

قال ابن كثير :" (وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه) أي عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً)[2] ولهذا قال تبارك وتعالى (ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل) أي في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع كما قال جل جلاله (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه)[3،4].

وقال الرازي :" اعلم أن الله تعالى لما بين فساد القول بالشرك وبين أن الله تعالى هو الذي يجب أن يعبد ، بين في هذه الآية أن طريقة هؤلاء الكفار الذين يعبدون الأصنام متناقضة وذلك لأنهم إذا مسهم نوع

---

[1] مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص٢٦٥) – ناصر بن علي عايض حسن الشيخ .

[2] سورة الإسراء الآية (٦٧) .

[3] سورة يونس من الآية (١٢) .

[4] تفسير ابن كثير (٤٧/٤) .

من أنواع الضر لم يرجعوا في طلب دفعه إلا إلى الله ، وإذا زال ذلك الضر عنهم رجعوا إلى عبادة الأصنام ومعلوم أنهم إنما رجعوا إلى الله تعالى عند حصول الضر ، لأنه هو القادر على إيصال الخير ودفع الضر، وإذا عرفوا أن الأمر كذلك في بعض الأحوال كان الواجب عليهم أن يعترفوا به في كل الأحوال فثبت أن طريقتهم في هذا الباب متناقضة ...

ثم قال تعالى : { نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ } أي نسي ربه الذي كان يتضرع إليه ويبتهل إليه" [1].

* وقد اقترن النسيان بالضلال وبصفات أخرى في سياق طويل في بيان عاقبة وخسران الضالين المكذبين الظالمين في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [2] .

---

[1] تفسير الرازي (٢١٧/٢٦) بتصرف .

[2] سورة المؤمنون (١٠٦-١١٠) .

قال الباقولي :" فهذا يجوز أن يكون منقولاً من الذي بمعنى الترك، ويمكن أن يكون من الذي هو خلاف الذكر ، واللفظ على : أنهم فعلوا بكم النسيان .

والمعنى : أنكم أنتم أيها المتخذون عبادي سخرياً نسيتم ذكري ، باشتغالكم باتخاذكم إياهم سخرياً ، وبالضحك منهم ، أي : تركتموه من أجل ذلك ، وإن كانوا ذاكرين غير ناسين ، فنسب الإنساء إلى عباده الصالحين وإن لم يفعلوا ، لما كانوا كالسبب لإنسائهم " [1] .

قال ابن كثير : "(فاتخذتموهم سخرياً) أي فسخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم إلي (حتى أنسوكم ذكري) أي: حملكم بغضكم على أن أنسيتم معاملتي (وكنتم منهم تضحكون) أي من صنيعهم وعبادتهم " [2] .

وفي التفسير القرآني للقرآن :" وفي قوله تعالى :"حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي" إشارة إلى أن اشتغال هؤلاء المشركين الضالين بالسخرية من المؤمنين ، والضحك منهم ، قد ألهاهم عن ذكر الله ، وصرفهم عن النظر في آياته ، والاستماع إلى كلماته .. إنهم شغلوا بغيرهم عن أنفسهم ، وعن العمل لما فيه خيرهم ورشادهم .. وهذا شأن كل من

---

[1] إعراب القرآن – للباقولي – (٤٥٨/٢) .

[2] تفسير ابن كثير (٢٥٩/٣) .

يشتغل بأمور الناس ، ويجعلها همه .. إنه ينسى نفسه ، ويحرمها ما كان يمكن أن يسوقه إليها من سعيه وجهده .

وفي نسبة نسيانهم لذكر الله إلى المؤمنين ، مع أن المؤمنين لم يكن منهم دعوة لهم إلى نسيان ذكر الله ، بل إنهم كانوا يدعونهم إلى الله ، ويذكرونهم في هذا مضاعفة لحسرة الكافرين ، وزيادة في إيلامهم ، إن كان ما هم فيه يحتاج إلى زيادة ، وذلك حين ينظرون إلى المؤمنين الذين كانوا يسخرون منهم ، فيجدون أنهم هم الذين شغلوهم عن ذكر الله ، وعن الإيمان به ، وأنهم هم الذين أوردوهم هذا المورد الوبيل ...ثم يجدونهم مع هذا في نعيم ورضوان من الله .." [1] .

وقال الشيخ أبوزهرة :" وقوله تعالى :"حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِى" أي أن هذه السخرية جعلتهم لا يلتفتون إلى معاني الذكر الحكيم ، ولا يتدبرون آياته ، ولا يعتبرون بعبره ، وإنه بسبب هذا كله ينسون ذكر الله تعالى فلا تمتلىء قلوبهم به ، ولا يخشونه ، " وكنتم منهم تضحكون " : أي كنتم أيها المشركون الساكنون في جهنم تضحكون منهم ، والضحك يميت القلب ، ولا تكون معه عبرة ولا استبصار " [2] .

قال الرازي :" وهم لم ينسوهم في الحقيقة بل كانوا يذكرونهم الله ويدعونهم إليه ، ولكن لما كان اشتغالهم بالسخرية منهم سبباً لنسيانهم

---

[1] التفسير القرآني للقرآن (٣/٣٤) .

[2] زهرة التفاسير (١٠/٥١٢٤) .

أضيف الإنساء إليهم وقال في براءة :﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [1] ، [2] .

* قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ [3] .

قال الشنقيطي :" وقوله في هذه الآية الكريمة { حَتَّى نَسُواْ الذِّكْرَ } الظاهر أن معنى نسوا تركوا ، والأظهر أن الذكر هو ما جاءت

---

[1] سورة التوبة (١٢٤-١٢٥) .

[2] التفسير الكبير (١٣٠/٢) .

[3] سورة الفرقان الآيتان (١٧-١٨) .

به الرسل من التوحيد ، وقيل ذكر الله بشكر نعمه ، والأصح أن قوله بوراً معناه هلكى " [1] .

وقال أبو السعود :" (حتى نسوا الذكر) أي غفلوا عن ذكرك أو عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة إلى الغواية " [2] .

وقال البغوي :"(حتى نسوا الذكر) تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه " [3] .

وقال الألوسي :" (حتى نسوا الذكر) أي: غفلوا عن ذكرك والإيمان بك أو عن توحيدك أو عن التذكر لنعمك وآيات ألوهيتك ووحدتك " [4] .

وقال الشوكاني :" { ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر } وفى هذا ما يدل على أنهم هم الذين ضلوا السبيل ولم يضلهم غيرهم ، والمعنى: ما أضللناهم ولكنك يارب متعتهم ومتعت آباءهم بالنعم ووسعت عليهم الرزق وأطلت لهم العمر حتى غفلوا عن ذكرك ونسوا موعظتك

---

[1] أضواء البيان (٦/٣٤) .

[2] تفسير أبي السعود (٦/٢٠٩) .

[3] تفسير البغوي (٣/٣٦٤) .

[4] روح المعاني (١٨/٢٥٠) .

والتدبر لكتابك والنظر في عجائب صنعك وغرائب مخلوقاتك ، وقيل: المراد بنسيان الذكر هنا هو: ترك الشكر " [1] .

وفي هذا إشارة إلى هؤلاء المشركين بالله ، وإلى أن شركهم هذا قد حرمهم كل خير ، فكانوا بهذا " قوماً بوراً " أي : هلكى ، لا سبيل لهم إلى النجاة من هذا المصير المشئوم الذي هم صائرون إليه " [2] .

وتفيد أيضاً : أن المتع والأهواء والشهوات تغشى النفس بفساد من الضلال ينسون به ذكر الله ، ويتركون ما هو حق في ذاته إلى ما تمليه الأهواء والأوهام فأنستهم ذكر الله وألهتهم ، وصاروا قوماً بوراً ، فهم بائرون قد انحلوا من كل وثاق لأهل الإيمان ، وهؤلاء قد فسدوا بكلامهم الذي لا أصل له ، ولا دعامة يقوم عليها ، أو أي دليل إلا الوهم والهوى [3] .

---

[1] فتح القدير (٦٧/٤) .

[2] التفسير القرآني للقرآن (١٣٦٩/٩) .

[3] زهرة التفاسير (٥٢٦١/١٠) بتصرف .

السبب التاسع : الإسراف

تعريف الإسراف في اللغة والاصطلاح :

لغة : السين والراء والفاء أصل واحد يدل على تعدي الحد والإغفال أيضاً للشيء ، تقول في الأمر سرف أي : مجاوزة القدر ، وأما الإغفال فقول القائل : "مررت بكم فسرفتكم " أي أغفلتكم [1] .

الإسراف اصطلاحاً : تجاوز الحد في صرف المال [2] .

وقال ابن منظور : الإسراف أكل ما لا يحل أكله ، وقيل: هو مجاوزة القصد في الأكل مما أحله الله ،وقال سفيان : الإسراف كل ما أنفق في غير طاعة الله ، وقال إياس بن معاوية : الإسراف ما قصر به عن حق الله ،السرف ضد القصد " [3] ، وحقيقته : " هو صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي " [4] .

قال الراغب :" السَّرَفُ: تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر . قال تعالى : { والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا }[5] - { ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً }[1] ويقال تارة

---

[1] معجم مقاييس اللغة (١٥٣/٣) .

[2] معجم الفروق اللغوية (ص:١١٤) .

[3] لسان العرب (١٤٨/٩) .

[4] القاموس الفقهي (ص:١٧٠) .

[5] سورة الفرقان من الآية (٦٧) .

اعتباراً بالقدر ، وتارة بالكيفية ، ولهذا قال سفيان : ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف ، وإن كان قليلاً ، قال الله تعالى : { ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين }[2] - { وأن المسرفين هم أصحاب النار }[3] . أي المتجاوزين الحد في أمورهم وقال { إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب }[4] ، [5].

وليس الإسراف متعلقاً بالمال فقط ، بل بكل شيء وضع في غير موضعه اللائق به ، ألا ترى أن الله تعالى وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث فقال : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[6] ، ووصف فرعون بقوله :﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[7] ، وقوله : ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[8، 9].

---

[1] سورة النساء من الآية (٦) .

[2] سورة الأنعام من الآية (١٤١) .

[3] سورة غافر من الآية (٤٣) .

[4] سورة غافر من الآية (٢٨)

[5] المفردات (ص:٤٠٧) .

[6] سورة الأعراف الآية (٨١) .

[7] سورة الدخان من الآية (٣١) .

[8] سورة يونس من الآية (٨٣) .

[9] - الذريعة في مكارم الشريعة (ص:٢٨٦) .

ومن خلال هذه التعريفات اللغوية للإسراف يظهر لنا أن هناك علاقة لغوية من حيث المعنى اللغوي العام بين الإسراف والغفلة والخطأ والجهل ، وإن شئت فقل والنسيان كذلك ، لأن عموم الغفلة يدخل فيه النسيان ، لأن :" الإسراف : الإفراط في الإنفاق والتوسع في شؤون اللذات " كما قال الطاهر بن عاشور [1] ، وهو منوط بالفساد [2] .

قال الراغب الأصفهاني :" الفرق بين الذنب والإسراف من وجهين :

أحدهما : أن الإسراف تجاوز الحد في فعل ما يجب ، والذنب عام فيه وفي التقصير ، فإذاً كل إسراف ذنب ، وليس كل ذنب إسرافاً .

والثاني : أن حقيقة الذنب : التقصير وترك الأمر حتى يفوت ، ثم يؤخذ بالذنب ، والذنب إذن في الأصل مقابل الإسراف ، وكلاهما مذمومان ، أحدهما من جهة التفريط ، والآخر : من جهة الإفراط " [3] .

* قال تعالى : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

[1] التحرير والتنوير (٢٤٤/٤)

[2] المرجع السابق (١٧٦/١٩) .

[3] تفسير الراغب الأصفهاني (٩٠٠/٣) .

أَعْمَىٰ ﴿١٢٥﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٦﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٧﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [1].

وهذا من الحوار الذي دار بين الباري سبحانه وتعالى والكافرين ، وقوله تعالى على لسان الكافر السائل عن سبب حشره أعمى ، متجاهلاً ذنبه " رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا" ؟ فجاء الجواب من الباري سبحانه :" قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ " ، وهو جواب يلمح فيه الوعد والتوعد الشديدين والتذكير، فقد صدر بالقول الإلهي :" كذلك" الدال على التحقق والتثبت ، وهو إشارة إلى مصدر " أتتك" ، أي : مثل ذلك الإتيان البديع أتتك الآيات الواضحة النيرة ..." فنسيتها" : أي : تركتها ترك المنسي ، الذي لا يذكر أصلاً ، والمراد : فعميت عنها ، إلا انه وضع المسبَّب موضع السبب ، لأن من عمي عن شيء نسيه وتركه [2].

ويلحظ في هذا الجواب الإلهي : أنه ورد على أسلوب بلاغي هو الازدواج أو المزاوجة بين قوله :" نسيتها" وقوله :" تنسى" إذ اتحدا في

---

[1] سورة طه الآيات (١٢٣-١٢٧) .

[2] روح المعاني (٢٧٨/١٦) بتصرف .

الأصل ، وهو النسيان ، غير أن هناك فارقاً دلالياً بين الاثنين ، فالنسيان الأول : يعني الإهمال وعدم الاكتراث ، وهو من الإنسان الكافر ، على حين جرى الثاني مجرى الجزاء ، فعبر به عن حشره مع من لا نجاة له ولا نور ، وهو عقاب من الله تعالى له .

وقوله :" وكذلك" إشارة إلى النسيان المفهوم من الفعل " نسيتها" أي : مثل نسيانك في الدنيا تنسى في الآخرة وتترك جزاءً وفاقا [1].

وورد الفعل الماضي " تنسى" بصيغة البناء للمجهول ، وقد حذف نائب الفاعل من التعبير وجوباً ، وكأن اختيار هذا الفعل الدال بلفظه على النسيان والترك .

واختيار البناء للمجهول دون المعلوم ، والحذف الواجب لنائب الفاعل ، يناسب ما أريد من تفخيم أمر النسيان والترك لهذا الكافر ، وشدته عليه، ووقعه الأليم على نفسه ، وما أريد من تحقيره بترك ذكره وإهماله ، ثم تيئيسه وقطع رجائه في النجاة .

ويلحظ أيضاً : أن الجواب ورد بتقديم الظرف " اليوم" على الفعل " تنسى"، وهو تقديم على نية التأخير ، جيء به للعناية والاهتمام ، لأن الظرف " اليوم " هو المحور الذي دارت فيه الأحداث بما فيها هذا العقاب الذي عبر عنه بالعمى والنسيان والترك .

فالنسيان : بمعنى الذهاب من الذاكرة ، وهو مروي عن قتادة .

---

[1] المرجع السابق (٢٧٨/١٦) بتصرف .

وقيل : من النسيان بمعنى الترك على حد قوله تعالى : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ﴾ [1] ، أي: تركوا أمره فتركهم في العذاب [2] .

قالت بنت الشاطيء :" ولفظة " الضنك" وحيدة في القرآن صيغة ومادة .

معناها عند الفراء : الضيقة الشديدة ، بالتأنيث، لأن الضيق ليست كضنك ، يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع ، والمذكر والمؤنث : عيش ضنك ومعيشة ضنك ، وُصِفَ بالمصدر ، وهي عند أهل التأويل: الضيق أو الضيق الشديد ، واختلاف أقوالهم فيها إنما هو في وجه هذا الضنك : قيل : عذاب القبر ، وقيل : الكسب الحرام ، وقيل : الزقوم ، والقرآن لم يستعمل "ضنكاً " إلا في هذا الموضع ، نذيراً لمن أعرض عن ذكره تعالى، يحشره سبحانه يوم القيامة أعمى " [3] .

قال الرازي :" هذه الآي وإن كن على الخصوص للكفار ، فإن ظاهر تلاوتهن على العموم ، فمن رغب عن حفظ القرآن وزهد غيره فيه ، أو نسي بعدما تعلمه ، فكأنه أريد بما مضى وخوطب به " [4] .

---

[1] سورة التوبة من الآية (٦٧) .

[2] روائع البيان في تفسير آيات الأحكام (٩٠/١) .

[3] الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ص:٤٩٧) .

[4] فضائل القرآن وتلاوته – للرازي– (ص:٣٥) بتصرف.

عن الضحاك قال : ما نعلم أحداً حفظ القران ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ الضحاك : "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير" ثم يقول الضحاك : وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن" [1].

قال أبو عبيد : إنما هذا على الترك، فأما الذي هو دائب في تلاوته حريص على حفظه إلا أن النسيان يغلبه فليس من ذلك في شيء ومما يحقق ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينسى الشيء من القرآن حتى يذكره من ذلك حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم : سمع قراءة رجل في المسجد فقال : (ما له رحمه الله لقد أذكرني آيات كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا) [2] ، [3].

ولأن نسيان القرآن أمر عظيم وذنب كبير فقد جعل مالك من الرخصة قراءة القرآن للحائض

---

[1] تفسير ابن أبي حاتم (٣٢٧٩/١٠) ، تفسير بحر العلوم – للسمرقندي- (٢٤٤/٣) ، والمصنف لابن أبي شيبة (١٦٢/٧)، الدر المنثور(٣٥٥/٧) ، تفسير القرطبي (٣٠/١٦) ، تفسير ابن كثير (١٢٦/٤) .

[2] أخرجه البخاري بلفظ : عن عَائِشَةَ قالت : سمع رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا يَقْرَأُ في سُورَةٍ بِاللَّيْلِ فقال يَرْحَمُهُ الله لقد أَذْكَرَنِي كَذَا وكَذَا آيَةً كنت أُنْسِيتُهَا من سُورَةِ كَذَا وكَذَا" صحيح البخاري (١٩٢٢/٤) برقم (٤٧٥١) .

[3] تفسير القرطبي (٣٠/١٦) .

قال الثعلبي :" وتمنع من قراءة القرآن وقد رخص فيها مالك بعض الرخصة إذا طالت المدة احترازاً من نسيان القرآن ، والفقهاء على خلافه "[1].

قال أبوحيان :" فقال له جل ذكره { كَذَالِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَالِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى } أي مثل ذلك أتت ، ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين المعتبر ، ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك قاله الزمخشري ، والنسيان هنا بمعنى الترك لا بمعنى الذهول ، ومعنى {تُنْسَى } تترك في العذاب "[2].

قال الألوسي :" رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا " أي في الدنيا كما هو ظاهر ، ولعل هذا باعتبار أكثر أفراد من أعرض لأن من أفراده من كان أكمه في الدنيا ، والظاهر أن هذا السؤال عن السبب الذي استحق به الحشر أعمى لأنه جهل أو ظن أن لا ذنب له يستحق به ذلك.

قال الله تعالى في جوابه { كذلك أتتك آياتنا } الكاف مقحمة كما في مثلك لا يبخل وذلك إشارة إلى مصدر أتتك أي مثل ذلك الإتيان البديع أتتك الآيات الواضحة النيرة ، وعند الزمخشري لا إقحام وذلك إشارة إلى حشرة أعمى أي مثل ذلك الفعل فعلت أنت ، وقوله تعالى (أتتك) الخ جواب سؤال مقدر كأنه قيل : يا رب ما فعلت أنا فقيل : أتتك آياتنا (

---

[1] تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٥٧/٢) .

[2] البحر المحيط (٢٦٦/٦) .

فنسيتها) أي تركتها ترك المنسي الذي لا يذكر أصلاً ، والمراد فعميت عنها إلا أنه وضع المسبب موضع السبب لأن من عمي عن شيء نسيه وتركه ، والإشارة في قوله تعالى (وكذلك) إلى النسيان المفهوم من نسيتها ، والكاف على ظاهرها أي مثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا (اليوم تنسى) أي تترك في العمى جزاءً وفاقاً وقيل : الكاف بمعنى اللام الأجلية كما قيل في قوله تعالى (واذكروه كما هداكم) [1] أي ولأجل ذلك النسيان الصادر منك تنسى وهذا الترك إلى ما شاء الله تعالى ثم يزال العمى عنه فيرى أهوال القيامة ويشاهد النار كما قال سبحانه (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها) [2] الآية ، ويكون ذلك له عذاباً فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم كما يدل عليه قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) [3] وحاصل الجواب علية إني حشرتك أعمى القلب لا تهتدي إلى ما يناجيك من الحجة لأنك تركت في الدنيا آياتي وحججي وكما تركت ذلك تترك على هذا العمى أبداً، وقيل : المراد بأعمى متحيراً لا يدري ما يصنع من الحيل في دفع العذاب كالأعمى الذي يتحير في دفع ما لا يراه ، وليس في الآية دليل كما يتوهم على عد نسيان القرآن أو آية منه كبيرة كما ذهب إليه الإمام الرافعي ويشعر كلام الإمام النووي في الروضة باختياره لأن المراد بنسيان الآيات بعد القول بشمولها آيات القرآن تركها وعدم الإيمان بها ومن عد نسيان شيء من القرآن كبيرة أراد بالنسيان معناه الحقيقي ،

---

[1] سورة البقرة من الآية (١٩٨) .

[2] سورة الكهف من الآية (٥٣) .

[3] سورة مريم من الآية (٣٨) .

نعم تجوز أبو شامة شيخ النووي فحمل النسيان في الأحاديث الواردة في ذم نسيان شيء من القرآن على ترك العمل به ، وتحقيق هذه المسألة وأن كون النسيان بالمعنى الأول كبيرة عند من قال به مشروط كما قال الجلال البلقيني والزركشي وغيرهما بما إذا كان عن تكاسل وتهاون يطلب من محله وكذا تحقيق حال الأحاديث الواردة في ذلك .

وفي رواية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه أن الكافر يحشر أولاً بصيراً ثم يعمى فيكون الإخبار بأنه قد كان بصيراً إخبار عما كان عليه أول حشره ، والظاهر أن ذلك العمى يزول أيضاً ، وعن عكرمة أنه لا يرى شيئاً إلا النار ولعل ذلك أيضاً في بعض أجزاء ذلك اليوم وإلا فكيف يقرأ كتابه ، وروى عن مجاهد ومقاتل والضحاك وأبي صالح وهي رواية عن ابن عباس أيضاً أن المعنى نحشره يوم القيامة أعمى عن الحجة أي لا حجة له يهتدي بها وهو مراد من قال : أعمى القلب والبصيرة ، واختار ذلك إبراهيم بن عرفة وقال: كلما ذكر الله سبحانه في كتابه العمى فذمه فإنما يراد به عمى القلب قال سبحانه وتعالى : (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)[1] وعلى هذا فالمراد بقوله (وقد كنت بصيراً) وقد كنت عالماً بحجتي بصيراً بها أحاج عن نفسي في الدنيا ، ومنه يعلم اندفاع ما قاله ابن عطية في رد من حمل العمى على عمى البصيرة من أنه لو كان كذلك لم يحس الكافر به لأنه كان في الدنيا أعمى البصيرة ومات وهو كذلك [2] .

---

[1] سورة الحج من الآية (٤٦) .

[2] روح المعاني (٢٧٨/١٦) بتصرف .

قال البغوي :" (وكذلك اليوم تنسى) تترك في النار ، قال قتادة : نسوا من الخير ولم ينسوا من العذاب"[1] .

قال الطبري :" قوله :" قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها " يقول تعالى ذكره: قال الله حينئذ للقائل له لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً، فعلت ذلك بك فحشرتك أعمى كما أتتك آياتي وهي حججه وأدلته وبياته الذي بينه في كتابه فنسيتها يقول فتركتها وأعرضت عنها ولم تؤمن بها ولم تعمل، وعنى بقوله كذلك أتتك هكذا أتتك .

وقوله :"وكذلك اليوم تنسى": يقول: فكما نسيت آياتنا في الدنيا فتركتها وأعرضت عنها فكذلك اليوم ننساك فنتركك في النار ، وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله :"وكذلك اليوم تنسى " فقال بعضهم بمثل الذي قلنا في ذلك

عن أبي صالح في قوله وكذلك اليوم تنسى : قال في النار

عن مجاهد في قوله "كذلك أتتك آياتنا فنسيتها" قال: فتركتها "وكذلك اليوم تنسى": وكذلك اليوم تترك في النار

وروي عن قتادة في ذلك ما حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال:" كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى": قال نسي من الخير ولم ينس من الشر .

---

[1] تفسير البغوي (٣/٢٣٥) .

وهذا القول الذي قاله قتادة قريب المعنى مما قاله أبو صالح ومجاهد لأن تركه إياهم في النار أعظم الشر لهم "[1].

[1] تفسير الطبري (١٦/٢٣٠) بتصرف .

السبب العاشر : المخاصمة والمجادلة بغير الحق

المخاصمة والمجادلة من سمات الإنسان ، مغروسة في فطرته ، وتتفاوت من شخص لآخر ، وتبلغ الحد المنبوذ شرعاً عندما يكون قلب الإنسان غافلاً وناسياً أو متناسياً ، وهذا كله إنما يحصل بسبب ارتكاب الذنوب والمعاصي ، والإسراف في الظلم والضلال عن طريق الهداية ، عندها يكون القلب مطبوعاً عليه لا يفقه شيئاً ولا يدرك حجة ولا برهاناً، وإنما سلاحه الذي يعتمد عليه هو المحاججة والمجادلة بالباطل ، وهذا حال الكفار والمنافقين والعياذ بالله ، التي لا ينبغي للمؤمن أن يتصف بها .

الخصومة لغة : (خَصَم) الخاء والصاد والميم أصلان ، أحدهما: المنازعة ، والثاني : جانب وعاء

فالأول: الخصم الذي يخاصم ، والذكر والأنثى فيه سواء ، والخصام مصدر خاصمته مخاصمة وخصاماً ، وقد يجمع الجمع على خصوم .

والأصل الثاني: الخصم جانب العدل الذي فيه العروة ، ويقال: إنَّ جانِبَ كلِّ شيءٍ خُصْمُ ، وأخصام العين ما ضمت عليه الأشفار ،ويمكن أن يجمع بين الأصلين فيرد إلى معنى واحد ، وذلك أن جانب العدل مائل إلى أحد الشقين والخصم المنازع في جانب فالأصل واحد .

و(خصم) الرجل (يخصم) من باب تعب إذا أحكم الخصومة فهو (خصم) و (خصيم) ، و (خاصمته) (مخاصمة) و(خصاماً) (فخصمته) (أخصمه) من باب قتل إذا غلبته في الخصومة، و(اختصم) القوم خاصم بعضهم بعضاً [1] .

قال الراغب : وهو يتحدث عن كراهية الجدال للعوام وذمه على كل حال

" إباحة تعاطي الجدال للعامة الذين لم يتدربوا في تحصيل القوانين ، ولم يتهذبوا في سبيل البراهين يجري مجرى حل قيد الشياطين ورفع سد يأجوج ومأجوج فإنه يثير سلطان قوتهم السبعية منخلعة من يد قائد العقل وقيد الشرع ، فالجدال مكروه للعلماء الألباء فكيف للجهال الأغبياء؟ ألا ترى أنه تعالى قال لنبيه ﷺ :﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ [2]، فلم يطلق له جدال مخالفيه حتى قيده بالأحسن هنا مع وصفه ﷺ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [3].

وقال تعالى في ذم الجدال : ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [4]، وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ

---

[1] المصباح المنير (١/١٧١) ، المعجم الوسيط (١/٢٣٩) .

[2] سورة النحل من الآية (١٢٥) .

[3] سورة القلم الآية (٤) .

[4] سورة الزخرف الآية (٥٨) .

مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ﴾ [1] ، ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ [2] .

وللجدال مع كونه مكروهاً شرائط وقوانين فمن تعطَّاه ولم يكن متدرباً فيها كان خصيماً جدلاً ، والخصومة عديمة الفائدة قليلة العائدة فإن الجدال مع ما فيه قد يوقظ الفهم ويثير الأنفة لاقتباس العلم ، والخصومة لا تثمر إلا العداوة وإنكار الحق ، فلهذا جعلها الله تعالى شراً من الجدال فقال تعالى : " بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ" .

وقال : ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [3] أي : جيد الخصومة مبين ، ولم يذكر الخصام في موضع إلا عابه ، وأيضاً فالمتجادلان يجريان مجرى فحلين تعاديا ، وكبشين تناطحا ، ورئيسين تحاربا ، وكل واحد منهما يجتهد أن يكون هو الفاعل وصاحبه هو المنفعل ، وأن يكون هو الطابع وصاحبه المنطبع ، والقائل كالمؤثر ، والسامع كالمتأثر ، " ومتى لم يخضع المتأثر لقبول أثر المؤثر " لم يتولد منهما خير بوجه ، وقال حكيم : المجادل المدافع يجعل في نفسه عند الخوض في الجدال أن لا يقنع بشيء ، ومن لا يقنعه إلا أن لا يقنع فما إلى إقناعه سبيل ، ولو اتفق عليه الحكماء بكل بينة ، بل لو اجتمع عليه الأنبياء بكل معجزة ، كما قال

---

[1] سورة الحج الآية (٨) .

[2] سورة الأنعام من الآية (٦٨) .

[3] سورة يس من الآية (٧٧) .

تعالى : ﴿ * وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [1].

* قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [2].

سبب نزول الآيات : قال مجاهد : أتى أبي بن خلف إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم نخر ففته بيده ؛ فقال : يا محمد ، أيحيي الله هذا وهو رميم ؟ ! " قال يحيى : فبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1] سورة الأنعام الآية (١١١) .

[2] الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص:١٨٦) .

[3] سورة يس (٧٧-٧٩) .

قال له : " نعم يحييك الله بعد موتك ، ثم يدخلك النار " ؟ فأنزل الله ! " قل يحييها الذي أنشأها " خلقها ! " أول مرة وهو بكل خلق عليم " [1]

قال أبوحيان :" (وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه) أي : نشأته من النطفة فذهل عنها ، (خلقه) أي نشأته ، وسمي قوله (من يحيي العظام وهي رميم) لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل ، وهي إنكار قدرة الله على إحياء الموتى كما هم عاجزون عن ذلك . وقال الزمخشري : " والرميم : اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفاة ، فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبراً لمؤنث ، ولا هو فعيل أو مفعول ؟ انتهى . واستدل بقوله (قل يحييها) على أن الحياة تحلها . وهذا الاستدلال ظاهر ومن قال إن الحياة لا تحلها ، قال المراد بإحياء العظام ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حسن حساس . (وهو بكل خلق عليم) يعلم كيفيات ما يخلق لا يتعاظمه شيء من المنشآت والمعدات جنساً ، ونوعاً ، دقة وجلالة " [2] .

قال الشوكاني : " (ونسي خلقه) معطوفة على الجملة المنفية داخلة في حيز الإنكار المفهوم من الاستفهام فهي تكميل للتعجب من حال الإنسان وبيان جهله بالحقائق وإهماله للتفكر في نفسه فضلاً عن التفكر في سائر مخلوقات الله ، ويجوز أن تكون جملة { فإذا هو خصيم }

---

[1] عزاه في الدر (٢٦٩/٥) لسعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في البعث ، وهو مرسل صحيح الإسناد ، ويشهد له ما أخرجه ابن جرير (٢١/٢٣) عن قتادة مرسلاً نحوه بإسناد صحيح .

[2] البحر المحيط (٣٣٢/٧) .

معطوفة على خلقنا وهذه معطوفة عليها أي أورد في شأننا قصة غريبة كالمثل وهى إنكاره أحياناً للعظام ، "ونسى خلقه": أي خلقنا إياه ، وهذه الجملة معطوفة على ضرب أو في محل نصب على الحال بتقدير قد ، وجملة { قال من يحيي العظام وهي رميم } استئناف عن سؤال مقدر كأنه قيل ما هذا المثل الذي ضربه؟ فقيل: قال من يحيى العظام وهى رميم ، وهذا الاستفهام للإنكار لأنه قاس قدرة الله على قدرة العبد فأنكر أن الله يحيى العظام البالية حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر يقال رم العظم يرم رماً إذا بلى فهو رميم ورمام ، وإنما قال رميم ولم يقل رميمة مع كونه خبراً للمؤنث لأنه اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات ، وقيل لكونه معدولاً عن فاعلة وكل معدول عن وجهه يكون مصروفاً عن إعرابه كما في قوله { وما كانت أمك بغياً }"مريم:٢٨" لأنه مصروف عن باغيه كذا قال البغوي والقرطبي ، وقال بالأول صاحب الكشاف والأولى أن يقال إنه فعيل بمعنى فاعل أو مفعول وهو يستوى فيه المذكر والمؤنث كما قيل في جريح وصبور . " قل يحييها الذي . ." ثم أجاب سبحانه عن الضارب لهذا المثل فقال { قل يحييها الذي أنشأها أول مرة } أي ابتدأها وخلقها أول مرة من غير شيء ومن قدر على النشأة الأولى قدر على النشأة الثانية { وهو بكل شيء عليم } لا يخفى عليه خافية ولا يخرج عن علمه خارج كائناً من كان ، وقد استدل أبو حنيفة وبعض أصحاب الشافعي بهذه الآية على أن العظام مما تحله الحياة ، وقال الشافعي لا تحله الحياة وأن المراد بقوله { من يحيي

العظام } من يحيى أصحاب العظام على تقدير مضاف محذوف ورد بأن هذا التقدير خلاف الظاهر" [1] .

قال محي الدين درويش :" حسن البيان في قوله :"وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه " وحقيقته : إخراج المعنى في أحسن الصور الموضحة له ، وإيصاله إلى فهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها ، وقد تأتي العبارة عنه من طريق الإيجاز ، وقد تأتي من طريق الإطناب بحسب ما تقتضيه الحال ، وقد أتى بيان الكتاب العزيز في هذه الآية من الطريقين فكانت جامعة مانعة في الاحتجاج القاطع للخصم ، وقد أتى منفصلاً عما قبله لأنه سبحانه ذكر المثل وليس في الكلام كله لا قبله ولا بعده ما خرج مخرج المثل ولا ما يصح أن يكون مثلاً وهو أن أمية بن خلف أتى رسول الله ﷺ بعظم نخر في يده وقال يا محمد : أنت تزعم أن ربك يحيي هذا بعدما أن صار إلى هذا الحال فنزلت ، وفي رواية أن العاصي بن وائل ، وقيل : هو أبي بن خلف الجمحي .

وقد آن أن ننقل الفصل البليغ الذي أورده الزمخشري في صدد هذه الآيات قال :" قبح الله عز وجل إنكارهم البعث تقبيحاً لا ترى أعجب منه وأبلغ وأدل على تمادي كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي ، وتوغله في الخسة ، وتغلغله في القحة حيث قرر أن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء وأمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة ، ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله

---

[1] فتح القدير (٣٨٣/٤) .

لمخاصمة الجبار ، وشرز صفحته لمجادلته ، ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول : من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه ، ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطنح وراءها "[1].

وهذه الآية من الأمثال التي تضرب لإقامة الحجة والبرهان على إمكان البعث بعد الموت وإثباته

قال ابن أبي العز الحنفي :" فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان ، أن يأتي بأحسن من هذه الحجة ، أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز ووضع الأدلة وصحة البرهان لما قدر ، فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد اقتضى جواباً فكان في قوله { ونسي خلقه } ما وفىً بالجواب وأقام الحجة وأزال الشبهة لما أراد سبحانه من تأكيد الحجة وزيادة تقريرها فقال { قل يحييها الذي أنشأها أول مرة } فاحتج بالإبداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى ، إذ كل عاقل يعلم ضرورياً أن من قدر على هذه قدر على هذه وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز ، ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه اتبع ذلك بقوله { وهو بكل خلق عليم } فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته فكذلك الثاني فإذا كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيى العظام وهي رميم ، ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر يقول: العظام إذا

---

[1] إعراب القرآن وبيانه (٢٣٦/٨) .

صارت رميماً عادت طبيعتها باردة يابسة والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث ففيه الدليل والجواب معاً فقال { الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون } فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتليء بالرطوبة والبرودة فالذي يخرج الشيء من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه من إحياء العظام وهي رميم ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد اقتداراً فقال { أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم } فأخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقهما أقدر على أن يحيى عظاماً قد صارت رميما فيردها إلى حالتها الأولى "[1].

والاستفهام في قوله :" من يحي العظام " إنكاري ، و"من" عامة في كل من يسند إليه الخبر .

فالمعنى : لا أحد يحيي العظام وهي رميم ، فشمل عمومه إنكارهم أن يكون الله تعالى محيياً للعظام وهي رميم ، أي : في حال كونها رميماً .

---

[1] شرح الطحاوية (٢/٥٩٤) .

والنسيان في قوله :" ونسي خلقه" مستعار لانتفاء العلم من أصله ، أي لعدم الاهتداء إلى كيفية الخلق الأول ، أي : نسي أننا خلقناه من نطفة ، أي لم يهتد إلى أن ذلك أعجب من إعادة عظمه كقوله تعالى : ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ ﴾ [1] .

وذكر النطفة هنا تمهيد للمفاجأة بكونه خصيماً مبيناً عقب خلقه ، أي ذلك الهين المنشأ قد أصبح خصيماً عنيداً ، وليبني عليه قوله بعد :" ونسي خلقه" أي : نسي خلقه الضعيف فتطاول وجاوز ، ولأن خلقه من النطفة أعجب من إحيائه وهو عظم مجاراة لزعمه في مقدار الإمكان ، وإن كان الله يحيي ما هو أضعف من العظام فيحيي الإنسان من رماده ، ومن ترابه ، ومن عجب ذنبه ، ومن لا شيء بقايا منه .

والرميم : البالي ، يقال : رم العظم وأرم ، إذا بلي فهو فعيل بمعنى المصدر ، يقال : رم العظم رميماً ، فهو خبر بالمصدر ، وأمر النبي ﷺ بأن يقول له :" يحييها الذي أنشأها " أمر بجواب على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل استفهام القائل على خلاف مراده لأنه لما قال : من يحيي العظام وهي رميم ، لم يكن قاصداً تطلب تعيين المحيي وإنما أراد الاستحالة ، فأجيب بجواب من هو متطلب علماً ، فقيل له : يحييها الذي أنشأها أول مرة ، فلذلك بني الجواب على فعل الإحياء مسنداً للمحيي ، على أن الجواب صالح لأن يكون إبطالاً للنفي المراد من الاستفهام الإنكاري كأنه قيل : بل يحييها الذي أنشأها أول مرة ولم يبين الجواب

---

[1] سورة ق الآية (١٥) .

على بيان إمكان الإحياء وإنما جعل بيان الإمكان في جعل المسند إليه موصولاً لتدل الصلة على الإمكان فيحصل الغرضان ، أي : يحييها لأنه أنشأها أول مرة فهو قادر على إنشائها ثاني مرة كما أنشأها أول مرة .

وذيل هذا الاستدلال بجملة :" وهو بكل خلق عليم" أي : واسع العلم محيط بكل وسائل الخلق التي لا نعلمها : كالخلق من نطفة ، والخلق من ذرة ، والخلق من أجزاء النبات المغلقة كسوس الفول وسوس الخشب ، فتلك أعجب من تكوين الإنسان من عظامه [1] .

فالله قادر على أن يجعل العظم الرميم إنساناً ، فقد خلقه أصلاً من ماء مهين ، ثم تطور في بطن أمه حتى ولد ، وصار إنساناً يجادل ربه ويخاصمه ، ويطلب منه الدليل والبرهان .

فإذا كانت النطفة أصل الإنسان ، وسر نشأته الأولى ، والله قادر على أن يجعل منها إنساناً ، فهو قادر على أن يجعل العظم الرميم إنساناً ، استبعد ذلك الكافر إعادة الله ذي القدرة العظيمة ، التي خلقت الشمس والقمر ، والسماء والأرض ، للأجسام والعظام الرميمة ، ونسي نفسه الذي خلقه من ماء مهين ، وأنه خلقه من عدم ، وهو بكل خلق عليم ، يعلم العظام في سائر الأرض ، أين ذهبت ، وأين تفرقت وتمزقت ، يجمعها بعضها إلى بعض ، ويبعث فيها الحياة ، فلا مفر من الوقوف بين يدي الله للحساب على الصغيرة والكبيرة التي اقترفت في الدنيا ، فكل

---

[1] التحرير والتنوير (٢٣/٧٤) بتصرف .

نفس بما كسبت رهينة ، وعمل الإنسان واعتقاده هما المقياسان الجديران بالتقدير والإكرام [1] .

وهكذا صدمت هذه الحقيقة الكثيرين من أهل الجاهلية في اعتقاداتهم التي ورثوها ، وأخذوا يتناقلونها من أن الموت نهاية كل حي ، ولا حساب ، ولا عقاب ، ولا بعث ، ولا نشور ، وإنما هي أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وما يهلكنا إلا الدهر .

[1] عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن (ص:٢٠٣) .

السبب الحادي عشر : إتباع الهوى

قال الراغب :" الهوى ميل النفس إلى الشهوة ، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة ، وقيل سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية ، وفي الآخرة إلى الهاوية ، والهُوِيُّ سقوط من علو إلى سفل، وقوله عز وجل : { فأمه هاوية }[1] قيل: هو مثل قولهم هوت أمه أي ثكلت، وقيل: معناه مقره النار ، والهاوية هي النار ، وقيل { وأفئدتهم هواء }[2] أي خالية كقوله { وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً }[3] ، وقد عظم الله تعالى ذم اتباع الهوى فقال تعالى { أفرأيت من اتخذ إلهه هواه}[4] – { ولا تتبع الهوى }[5] – { واتبع هواه }[6] وقوله { ولئن اتبعت أهواءهم }[7] فإنما قاله بلفظ الجمع تنبيها على أن لكل واحد هوى غير هوى الآخر ، ثم هوى كل واحد لا يتناهى ، فإذا اتباع أهوائهم نهاية الضلال والحيرة ، وقال عز وجل : { ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون }[8]

---

[1] سورة القارعة من الآية (٩) .

[2] سورة إبراهيم من الآية (٤٣) .

[3] سورة القصص من الآية (١٠) .

[4] سورة الجاثية من الآية (٢٣) .

[5] سورة ص من الآية (٢٦) .

[6] سورة الأعراف من الآية (١٧٦) .

[7] سورة البقرة من الآية (١٢٠) .

[8] سورة الجاثية من الآية (١٨) .

- { كالذي استهوته الشياطين }[1] أي حملته على اتباع الهوى { ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا }[2] - { قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت }[3]- { ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله}[4]- { ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله }[5،6].

فالهوى : اسم للقوة الشهوية ، وأصله من الهوى ، لأنه يهوى بصاحبه فلا يستقر به[7] .

كما أن الهوى أعظم سلاح للشيطان ، وللإنسان مع هواه ثلاثة أحوال :

الأولى : أن يغلبه الهوى فيملكه ، كما قال تعالى :" ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[8] .

---

[1] سورة الأنعام من الآية (٧١) .
[2] سورة المائدة من الآية (٧٧) .
[3] سورة الأنعام من الآية (٥٦) .
[4] سورة الشورى من الآية (١٥) .
[5] سورة القصص من الآية (٥٠) .
[6] المفردات في غريب القرآن (ص:٨٤٩) .
[7] تفسير الراغب الأصفهاني (١/٢٥٥) .
[8] سورة الفرقان من الآية (٤٣) .

والثانية : أن يغالبه فيقهره مرة ويُقهر مرة ، وإياه قصد بمدح المجاهدين .

والثالثة : أن يغلب هواه ، ككثير من الأنبياء وبعض صفوة الأولياء، وهذا المعنى قصد بقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾ [1] ، وله قصد النبي ﷺ بقوله :" ما مِنْكُمْ من أَحَدٍ إلا وقد وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ من الْجِنِّ قالوا وَإِيَّاكَ يا رَسُولَ اللَّهِ قال وَإِيَّايَ إلا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عليه فَأَسْلَمَ فلا يَأْمُرُنِي إلا بِخَيْرٍ"[2] ، فإن الشيطان يتسلط على الإنسان بحسب وجود الهوى فيه ، والله أعلم بالحقيقة [3] .

* إتباع الهوى وأثره على الفرد والمجتمع :

إن انقياد الإنسان واتباعه للشهوة يجعله في مصاف الحيوانات ، ويجلب له الخزي في الدنيا ، والعذاب في الآخرة .

يقول الجاحظ : إذا تمكنت الشهوة من الإنسان وملكته وانقاد لها كان كالبهائم أشبه منه بالناس ، لأن أغراضه ومطلوباته وهمته تصير أبداً مصروفة إلى الشهوات واللذات فقط ، وهذه هي عادة البهائم ، ومن يكون بهذه الصفة يقل حياؤه ، ويكثر خرقه ، ويستوحش من أهل

---

[1] سورة النازعات (٤٠-٤١) .

[2] صحيح مسلم (٤/٢١٦٧) برقم (٢٨١٤) .

[3] الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص:٩١) .

الفضل ، ويبغض أهل العلم ، ويود أصحاب الفجور ، ويستحب الفواحش، ويسر بمعاشرة السخفاء ، ويغلب عليه الهزل وكثرة اللهو ، وقد يصير من هذه الحالة إلى الفجور ، وارتكاب الفواحش ، والتعرض للمحذورات ، وربما دعته محبة اللذات إلى اكتساب الأموال من أقبح وجوهها ، وربما حملته على الغضب والتلصص والخيانة وأخذ ما ليس له بحق ، فإن اللذات لا تتم إلا بالأموال والأعراض ، فمحب اللذة إذا تعذرت عليه الأموال من وجوهها ، جسرته شهوته إلى اكتسابها من غير وجوهها ، ومن تنتهي به شهواته إلى هذا الحد ، فهو أسوأ الناس حالاً ، ويصبح من الأشرار الذين يخاف خبثهم ، ويصير واجباً على متولي السياسات تقويمهم وتأديبهم ، وإبعادهم ونفيهم ، حتى لا يختلطوا بالناس ، فإن اختلاط من هذه صفته بالناس مضرة لهم ، وبخاصة الأحداث منهم ، لأن الحدث " صغير السن" سريع الانطباع ، ونفسه مجبولة على الميل إلى الشهوات ، فإذا شاهد غيره مرتكباً لها ، مستحسناً للإنهماك فيها ، مال هو أيضاً إلى الإقتداء به " [1] .

الفرق بين الهوى والشهوة :

يقول الإمام الماوردي : فرق ما بين الهوى والشهوة ، أن الهوى : مختص بالآراء والاعتقادات ، والشهوة : مختصة بنيل

[1] تهذيب الأخلاق (١٦/١٥) بتصرف واختصار .

المستلذات ، فصارت الشهوة من نتائج الهوى ، والهوى أصل وهو أعم [1] .

وقال الراغب : في الفرق بين الهوى والشهوة :" أن الشهوة ضربان : محمودة ومذمومة

فالمحمودة : من فعل الله تعالى ، **والمذمومة** : من فعل البشر ، وهي استحبابه النفس لما فيه لذتها البدنية .

والهوى : هو هذه الشهوة الغالبة إذا استتبعها الفكرة ، وذلك أن الفكرة بين العقل والشهوة ، فالعقل فوقها ، والشهوة تحتها ، فمتى ارتفعت الفكرة ولدت المحاسن ، وإذا سفلت ولدت القبائح " [2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :" صاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه ، فلا يستحضر ما لله ورسوله في الأمر ولا يطلبه أصلاً ، ولا يرضى لرضا الله ورسوله ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله ، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه ، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه ، فليس قصده أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العلياء ، بل قصده الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء ، ليعظم هو ويثنى عليه ، أو لغرض من الدنيا ، فلم يكن لله غضبه ، ولم يكن مجاهداً في سبيل الله ، بل إن أصحاب الهوى يغضبون على من خالفهم وإن كان

---

[1] أدب الدنيا والدين (ص:٣٨) .

[2] الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص:٤٦) بتصرف واختصار .

مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه ، ويرضون عمن يوافقهم ، وإن كان جاهلاً سيء القصد ، ليس له علم ولا حسن قصد ، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله ، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله ، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله "[1] .

** قال تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[2] .

قال الرازي :" اعلم أنه تعالى لما تمم الكلام في شرح القصة أردفها ببيان أنه تعالى فوض إلى داود خلافة الأرض ، وهذا من أقوى الدلائل على فساد القول المشهور في تلك القصة ، لأن من البعيد جداً أن يوصف الرجل بكونه ساعياً في سفك دماء المسلمين ، راغباً في انتزاع أزواجهم منهم ثم يذكر عقيبه أن الله تعالى فوض خلافة الأرض إليه ، ثم نقول في تفسير كونه خليفة وجهان **الأول** : جعلناك تخلف من تقدمك من الأنبياء في الدعاء إلى الله تعالى ، وفي سياسة الناس لأن خليفة الرجل من يخلفه ، وذلك إنما يعقل في حق من يصح عليه الغيبة، وذلك على الله محال. **الثاني** : إنا جعلناك مالكاً للناس ونافذ الحكم فيهم فبهذا التأويل يسمى خليفة ، ومنه يقال خلفاء الله في أرضه ، وحاصله: أن

---

[1] منهاج السنة النبوية (٥/٢٥٥) بتصرف .

[2] سورة ص الآية (٢٦) .

خليفة الرجل يكون نافذ الحكم في رعيته ، وحقيقة الخلافة ممتنعة في حق الله ، فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة مفيدة اللزوم في تلك الحقيقة وهو نفاذ الحكم .

ثم قال تعالى : { فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ } واعلم أن الإنسان خلق مدنياً بالطبع ، لأن الإنسان الواحد لا ينتظم مصالحه إلا عند وجود مدينة تامة حتى أن هذا يحرث ، وذلك يطحن ، وذلك يخبز ، وذلك ينسج ، وهذا يخيط ، وبالجملة فيكون كل واحد منهم مشغولاً بمهم ، وينتظم من أعمال الجميع مصالح الجميع ، فثبت أن الإنسان مدني بالطبع وعند اجتماعهم في الموضع الواحد يحصل بينهم منازعات ومخاصمات ولا بد من إنسان قادر قاهر يقطع تلك الخصومات وذلك هو السلطان الذي ينفذ حكمه على الكل فثبت أنه لا ينتظم مصالح الخلق إلا بسلطان قاهر سائس ، ثم إن ذلك السلطان القاهر السائس إن كان حكمه على وفق هواه والطلب مصالح دنياه عظم ضرره على الخلق فإنه يجعل الرعية فداء لنفسه ويتوسل بهم إلى تحصيل مقاصد نفسه ، وذلك يفضي إلى تخريب العالم ووقوع الهرج والمرج في الخلق ، وذلك يفضي بالآخرة إلى هلاك ذلك الملك ، أما إذا كانت أحكام ذلك الملك مطابقة للشريعة الحق الإلهية انتظمت مصالح العالم ، واتسعت أبواب الخيرات على أحسن الوجوه . فهذا هو المراد من قولهم : { فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ } يعني :لا بد من حاكم بين الناس بالحق فكن أنت ذلك الحاكم ثم قال : { وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } الآية ، وتفسيره أن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله ، والضلال عن سبيل الله يوجب العذاب ، فينتج أن متابعة الهوى توجب سوء العذاب .

أما المقام الأول : وهو أن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله فتقريره أن الهوى يدعو إلى الاستغراق في اللذات الجسمانية ، والاستغراق فيها يمنع من الاشتغال بطلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات ، لأنهما حالتان متضادتان فبقدر ما يزداد أحدهما ينقص الآخر .

أما المقام الثاني : وهو أن الضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب ، فالأمر فيه ظاهر لأن الإنسان إذا عظم إلفه بهذه الجسمانيات ونسي بالكلية أحواله الروحانيات ، فإذا مات فقد فارق المحبوب والمعشوق ، ودخل ديراً ليس له بأهل تلك الديار إلف وليس لعينه قوة مطالعة أنوار تلك الديار ، فكأنه فارق المحبوب ووصل إلى المكروه ، فكان لا محالة في أعظم العناء والبلاء ، فثبت أن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله . وثبت أن الضلال عن سبيل الله يوجب العذاب ، وهذا بيان في غاية الكمال .

ثم قال تعالى : { بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الْحِسَابِ } يعني: أن السبب الأول لحصول ذلك الضلال هو نسيان يوم الحساب ، لأنه لو كان متذكراً ليوم الحساب لما أعرض عن إعداد الزاد ليوم المعاد ، ولما صار مستغرقاً في هذه اللذات الفاسدة " [1].

[1] مفاتيح الغيب (٣٨٦/٢٦) .

ومعلوم أن نبي الله داود لا يحكم بغير الحق ، ولا يتبع الهوى فيضله عن سبيل الله ، ولكن الله تعالى يأمر أنبياءه عليهم السلام وينهاهم ليشرع لأممهم .

والنهي عن اتباع الهوى تحذير له وإيقاظ ليحذر من جراء الهوى ويتهم هوى نفسه ويتعقبه فلا ينقاد إليه فيما يدعوه إليه إلا بعد التأمل والتثبت، واتباع الهوى قد يكون اختياراً ، وقد يكون كرهاً ، والنهي عن اتباعه يقتضي النهي عن جميع أنواعه ، فأما الاتباع الاختياري فالحذر منه ظاهر ، وأما الاتباع الاضطراري فالتخلص منه بالانسحاب عما جره إلى الإكراه ، ولذلك اشترط العلماء في الخليفة شروطاً كلها تحوم حول الحيلولة بينه وبين اتباع الهوى "[1].

قال البقاعي :" ولما كانت النفس نزاعة إلى الهوى ، ميالة عن السوى ، قال معللاً للنهي مؤكداً لما في النفس من التعللات عند المخالفة بالكرم والمغفرة الدافع للعذاب :" إن الذين يضلون" أي يوجدون الضلال بإهمالهم التقوى الموجب لاتباع الهوى المقتضي لأن يكون متبعه ضالاً ، " عن سبيل الله " أعاده تفخيماً لأمره وتيمناً بذكره وإيذاناً بأن سبيله مأمور به مطلقاً من غير تقييد بداود عليه السلام ولا غيره فيه ، " لهم عذاب شديد":أي بسبب ضلالهم .

---

[1] التحرير والتنوير (٢٤٣/٢٣) بتصرف .

ولما أمر سبحانه ونهى ، وذكر أن السبب في النهي كراهة الضلال ، وعلم منه أن سبب الضلال الهوى ، ذكر سبب هذا السبب فقال معبراً بالنسيان إشارة إلى أنه من شدة ظهوره كما كان محفوظاً فنسي ، ....

" بما نسوا يوم الحساب ":أي عاملوه معاملة المنسي بعضهم بالإنكار وبعضهم بخبث الأعمال ، فإنهم لو ذكروه حقيقة لما تابعوا الهوى المقتضي للضلال على أنه مما لا يجهله من له أدنى مسكة عقل فإنه لا يخطر في عقل عاقل أصلاً أن أقل الناس وأجهلهم يرسل أحداً إلى مزرعة له يعملها ، ثم لا يحاسبه عليها فكيف إذا كان حكيماً فكيف إذا كان ملكاً فكيف وهو ملك الملوك ، وقال الغزالي في آخر كتاب العلم من الإحياء في الكلام على العقل : ثم لما كان الإيمان مركوزاً في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى من أعرض فنسي وهم الكفار ، وإلى من جال فكره فتذكر ، وكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ، وقد علم من هذه القصة وما قبلها أن المعنى : اصبر على ما يقولون الآن ، فلننصرنك فيما يأتي من الزمان ، ولنؤيدنك كما أيدنا داود العظيم الشأن"[1]

والخطاب في الآية وإن كان موجهاً إلى داود عليه السلام فإن فيه بطبيعة الحال خطاباً عاماً لأولي الحكم والأمر في الناس بوجوب الحكم بالحق وعدم الزيغ مع الهوى لما في الزيغ من مجانبة الحق والعدل ، ثم من ضلال عن سبيل الله ، ولما في صدور ذلك من هذه الطبقة خاصة من ضرر مضاعف وإثم مشدد وخطر أوكد على مصالح الناس ، فهم بمثابة

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٦٩/١٦) .

خلفاء الله في أرضه وعباده وعليهم أن يرعوا حقوق الله وحدوده فيهم [1].

قال ابن عطية :" هو خطاب لمحمد ﷺ وعظة لأمته ، ووعيد للكفرة به " [2] .

قال القشيري :" وأوصاه بألا يتبع في الحكم هواه تنبيهاً على أن أعظم جنايات العبد وأقبح خطاياه متابعة الهوى "[3].

قال المراغي :" " ولا تتبع الهوى ": في الحكومة وغيرها من أمور الدين والدنيا ، وفي هذا إرشاد لما يقتضيه منصب النبوة ، وتنبيه لمن هو دونه لسلوك هذا الطريق القويم ، ثم بين سوء عاقبة ذلك فقال :" فيضلك عن سبيل الله " أي فيكون اتباعك للهوى سبباً في الضلال عن الدلائل التي نصبت ، والأعلام التي وضعت ، للإرشاد إلى سبل السلام ، بإصلاح حال المجتمع في دينه ودنياه ، وتهذيبه حتى يسلك طريق الحق بينه وبين ربه ، وبينه وبين الناس . ثم بين غائلة الضلال ووخامة عاقبته فقال : "إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ " أي إن الذين يتركون الحق ويضلون عن سبيل معالمه لهم من الله العذاب الشديد يوم الحساب لنسيانهم ما في ذلك اليوم

---

[1] التفسير الحديث (٣٠٩/٢) .

[2] المحرر الوجيز (٥٠٢/٤) .

[3] لطائف الإشارات – للقشيري – (٢٥٢/٣) .

من الأهوال ، وأن الله سيحاسب كل نفس بما كسبت ، فمن دسّى نفسه وسلك بها سبيل المعاصي فقد حق عليه العذاب الذي كتبه على العاصين جزاء وفاقاً على أعمالهم التي كسبوها بأيديهم " [1] .

والخلاصة : أن الله تعالى ذكر في القرآن الكريم الكثير من الأمراض مقترنة بعضها ببعض ، وبعضها يقود إلى بعض ، ويؤثر فيه ، وقد اقترن النسيان بالكثير من الصفات التي كانت سبباً فيه ، وتأثر الناسون بها آثاراً سلبية ترتب عليها عواقب وخيمة ، وقد أحصينا من أسباب النسيان أحد عشر سبباً ، يأتي على رأسها الشيطان الرجيم وهو أخطرها ، لأنه يجري في ابن آدم مجرى الدم وله من الوسائل والحبائل ما الله أعلم به ، ومنه كذلك : الظلم والكفر ، والنفاق ، والفسوق ، والعصيان ، الكذب والافتراء ، واللهو واللعب ، غرور الحياة الدنيا ، الضلال والإسراف ، والمخاصمة والمجادلة بغير الحق ، وهي أسباب كبرى عامة ومتداخلة .

هذا والله أعلى وأعلم

---

[1] تفسير المراغي (١١٢/٢٣) .

فهرس
المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

كتب التفسير :

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، المؤلف : الشنقيطي ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر .

- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل – الرازي– الناشر : دار عالم الكتب – السعودية .

- إعراب القرآن الكريم – لقاسم حميدان دعاس– الناشر : دار الفارابي دمشق .

- إعراب القرآن وبيانه ، المؤلف : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص ".

- التحرير والتنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ، المؤلف : الطاهر بن عاشور التونسي " نشر : الدار التونسية للنشر .

- التفسير البياني للقرآن الكريم – للدكتورة عائشة محمد على عبدالرحمن المعروفة ببنت الشاطىء " ، دار النشر : دار المعارف – القاهرة .

- التفسير القرآني للقرآن – للشيخ عبدالكريم يونس الخطيب ، الناشر : دار الفكر العربي " القاهرة " .

- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، المؤلف : د/ وهبه بن مصطفى الزحيلي ، الناشر : دار الفكر المعاصر .

- الدر المنثور ، المؤلف : عبدالرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي، الناشر : دار الفكر بيروت .

- تفسير أبي السعود " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم " ، المؤلف : العلامة أبوالسعود ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، المؤلف : ابن أبي حاتم ، الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز –السعودية .

- التسهيل لعلوم التنزيل ، المؤلف : ابن جزي الكلبي الغرناطي ، ، الناشر : دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت .

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، المؤلف : ا بن عطية الأندلسي المحاربي " الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .

- تفسير القرآن العظيم ، المؤلف : ا بن كثير ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .

- معالم التنزيل في تفسير القرآن – تفسير البغوي– المؤلف : البغوي الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع .

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المؤلف : البيضاوي " الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

-الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، المؤلف : الثعالبي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، المؤلف : الثعلبي ، ،الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

- مفاتيح الغيب التفسير الكبير ، المؤلف : الرازي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

- تفسير الراغب الأصفهاني ، المؤلف : الراغب الأصفهاني ، الناشر : جامعة أم القرى .

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – الزمخشري– الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت .

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعدي– الناشر : مؤسسة الرسالة .

- بحر العلوم – السمرقندي– الناشر : دار الفكر ، بيروت– لبنان .

- تفسير القرآن– السمعاني– الناشر : دار الوطن – السعودية .

- جامع البيان في تأويل القرآن ، المؤلف : الطبري ، الناشر : مؤسسة الرسالة .

- تفسير القرآن – عز الدين بن عبدالسلام– " وهو اختصار لتفسير الماوردي" ، الناشر : دار ابن حزم – بيروت .

- تفسير الماتريدي " تأويلات أهل السنة" المؤلف: الماتريدي ، الناشر : دار الكتب العلمية بيروت .

- تفسير المراغي ، المؤلف : الشيخ المراغي ، الناشر : ط مصطفى البابي الحلبي .

- روح البيان – الإستانبولي – الناشر : دار الفكر بيروت .

- زاد المسير في علم التفسير – ابن الجوزي– الناشر : دار الكتاب العربي بيروت .

- زهرة التفاسير – أبوزهرة – الناشر : دار الفكر العربي .

- فتح البيات عن مقاصد القرآن – محمد صديق خان – الناشر : المكتبة العصرية للطباعة بيروت .

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – الشوكاني – الناشر : دار ابن كثير .

- في ظلال القرآن – الشيخ سيد قطب– الناشر : دار الشروق بيروت .

- لطائف الإشارات – القشيري – الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- معاني القرآن وإعرابه – الزجاج – الناشر : عالم الكتب بيروت .

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – البقاعي– الناشر : دار الكتاب الإسلامي القاهرة .

كتب علوم القرآن

- أحكام القرآن – ابن العربي – الناشر : دار الكتب العلمية بيروت .

- البرهان في علوم القرآن – الزركشي – الناشر : دار إحياء الكتب العربية .

- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق - د/عائشة بنت الشاطيء - الناشر : دار المعارف .

- العجاب في بيان الأسباب - ابن حجر العسقلاني- الناشر : دار ابن الجوزي .

- المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهاني- الناشر : دار القلم .

- النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام - الكرجي - الناشر : دار ابن عفان .

- الوجوه والنظائر- لأبي هلال العسكري- الناشر : مكتبة الثقافة الدينية القاهرة .

- جمال القراء وكمال الإقراء - السخاوي- الناشر : مؤسسة الكتب الثقافية .

- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - الشنقيطي- الناشر : مكتبة ابن تيمية القاهرة .

- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام - الصابوني- الناشر: مؤسسة مناهل العرفان بيروت .

- فضائل القرآن وتلاوته -للرازي- الناشر : دار البشائر الإسلامية .

- عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن - الشيخ علي أحمد عبدالعال الطهطاوي- الناشر : دار الكتب العلمية.

- من بلاغة القرآن - د/أحمد أحمد عبدالله البيلي - الناشر : نهضة مصر.

كتب الحديث

- الجامع الصحيح المختصر - البخاري - الناشر : دار ابن كثير .

- السلسلة الصحيحة - الألباني - الناشر : دار الحديث للتراث .

- المستدرك على الصحيحين - الحاكم- الناشر : دار الكتب العلمية بيروت.

- المعجم الأوسط - الطبراني- الناشر : دار الحرمين القاهرة .

- سنن الترمذي - الترمذي - الناشر : ط مصطفى البابي الحلبي .

- سنن الدارمي - الدارمي - الناشر : دار الكتاب العربي .

- صحيح مسلم - الإمام مسلم- الناشر : دار إحياء التراث العربي.

- صحيح ابن خزيمة - ابن خزيمة - الناشر : دار المكتب الإسلامي .

- مسند الإمام أحمد بن حنبل - الإمام أحمد بن حنبل - الناشر : مؤسسة الرسالة .

- مسند البزار- البحر الزخار- للبزار-الناشر : مؤسسة علوم القرآن .

- مسند أبي يعلى - أبويعلى الموصلي - الناشر : دار المأمون للتراث .

- مصنف ابن أبي شيبة – ابن أبي شيبة – الناشر : دار التراث العربي .

- معجم ابن عساكر –ابن عساكر – الناشر : دار الفكر بيروت .

- موطأ مالك – الإمام مالك بن أنس – الناشر : دار إحياء التراث العربي .

كتب شروح السنة

- التيسير بشرح الجامع الصغير – المناوي – الناشر : مكتبة الإمام الشافعي.

- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم – ابن رجب – الناشر : مؤسسة الرسالة بيروت .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري – ابن حجر العسقلاني – الناشر : دار الحرمين القاهرة .

- فيض القدير شرح الجامع الصغير – المناوي– الناشر : المكتبة التجارية الكبرى .

- نيل الأوطار – الشوكاني – الناشر : دار الحديث مصر .

كتب اللغة والمعاجم

- أساس البلاغة – الزمخشري – الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .

- التعريفات – الجرجاني – الناشر : دار الكتب العلمية بيروت .

- التوقيف على مهمات التعاريف – زين الدين أبو يحيى السنيكي– الناشر : عالم الكتب .

- العين – الخليل بن أحمد الفراهيدي– الناشر : مكتبة الهلال .

- الفروق اللغوية – العسكري – الناشر : دار العلم والثقافة للنشر

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية – أبوالبقاء الحنفي – الناشر : مؤسسة الرسالة بيروت .

- لسان العرب – ابن منظور– الناشر : دار صادر بيروت .

- مختار الصحاح – الرازي – الناشر : المكتبة العصرية .

- معجم مقاييس اللغة – الرازي– الناشر : دار الفكر .

كتب التاريخ والتراجم

- سير أعلام النبلاء – الذهبي – الناشر : مؤسسة الرسالة .

كتب في العقيدة

- شرح العقيدة الطحاوية – ابن أبي العز الحنفي – الناشر دار التراث الإسلامي .

- مباحث العقيدة في سورة الزمر– ناصر بن علي عايض حسن الشيخ ، الناشر : دار الفكر .

كتب عامة

- الذريعة إلى مكارم الشريعة – الراغب الأصفهاني- الناشر : دار السلام القاهرة .

- مفتاح دار السعادة – ابن قيم الجوزية – الناشر : دار الكتب العلمية بيروت .

- – مجموع الفتاوى – ابن تيمية – الناشر : دار التراث العربي .